

الأمير الشاعر مقيم بن المعتمر

عن عبد الفتاح حسن



منشورات
دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع

المكتبة الصورية



المكتبة الصّغيرة

٣٦

تتيم بن المعمر

الأمير الشاعر

محمد عبد الغني حسن

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

ربيع الآخر ١٤٠٢ هـ

يناير ١٩٨٢ م

الطبعة الثانية

شعبان ١٤٠٣ هـ

مايو ١٩٨٣ م

الغلاف من تصميم الفنان : عصام طنطاوى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بين يدي الكتاب

لعل سائلا يسأل : لماذا اخترت الشاعر الفاطمي : تميم
ابن المعز ، لأكتب عنه في هذه السلسلة ، وقد كان في غيره
من الشخصيات العربية الأدبية منادح كثيرة ؟ ولن يعوزني
الجواب بحال ... فان سر كتابتي عن « تميم » أنه شاعر مظلوم
لم يأخذ حقه من التقدير حياً أو ميتاً ، ولم يُفرد مؤلف قديم
أو حديث بكتاب مستقل ، إلا ما جاء مبعثراً في سطور نجلها
في يتيمة الدهر للشعالبي ، والمغرب لابن سعيد ، ووفيات الأعيان
لابن خلكان ، وحسن المحاضرة للسيوطي ، وإلا ما ذكره به
باحثون مصريون معاصرون ، وهم المرحومون : محمود
مصطفى ، ومحمد كامل حسين - أستاذ الأدب لا الجراحي
المجمعي - وأحمد أحمد بدوي .

وأحمد الله أن سوانى بطبعى رجلا أحب المظلومين ، وأذكر
المنسيين ، وأتعاطف معهم ، وأتحرى انصافهم ... فقد فعلت
ذلك مع محمد بن القاسم الثقفي : بطل السند ، وموسى بن
نصير ، والمقري صاحب نفح الطيب ، وابن سعيد المغربي ،

والشريف الأدرسي ، وعبد الله فكرى ، وأحمد فارس
الشدياق ، ومي زيادة ، والشيخ حسن العطار .. رائد النهضة
الحديثة وأستاذ رفاة الطهطاوى - حين أصدرت ' عن كل منهم
كتاباً قائماً ، فكانت الكتب الأولى - فى المكتبة العربية - عن
هؤلاء المظلومين .

وقد لاحظت أن الجزيرة العربية لها من سلسلة (المكتبة
الصغيرة) نصيب ... فإذا جاءكم مصر اليوم بشاعر من
أوائل شعرائها بعد ثلاثة قرون من الفتح العربى الاسلامى ،
فهل تضمنون عليه بمكان بينكم ، ونحن فى النهاية عرب
- مهما توزعت ديارنا - يربطنا رباطان من جنس كريم ،
ودين عظيم ؟

وأنا على ثقة أن الشاعر المصرى العربى الفاطمى :
تميم بن المعز ، سيلقى ارتياحاً ويستشعر أنسا ، حين يجد
نفسه فى سمط مع حمزة شحاتة ، وأحمد قنديل ، ومحمد
عبد القادر فقيه ، ومقبل العيسى ... وبذا تتأكد من جديد
قضية النسب الأدبى الذى أقامه - بحق - شاعرنا المخلوق
أبو تمام مقام الوالد ...

وبعد ! فقد قلت فى هذه المقدمة أكثر ما كان بودى أن
أقوله ، ولكنى أحس أن أخى الأديب المحقق الثبت الأستاذ
الكبير عبد العزيز الرفاعى صاحب هذه المكتبة التى يملح
وصفها بالأضداد - يود أن يقول شيئاً ... فهو - كما خبرته

فى لقائى به فى الرياض ضيفاً على وزارة الاعلام (١) مغموراً
بكرمها المخرس - يقول الكلمة فى حينها المناسب ، ومكانها
الملائم ؛ ولا أجد أكثر من هذا المكان مناسبة ليقول الصديق
الكريم كلمته ؟

محمد عبدالغنى حسن

القاهرة المعزية

ذو الحجة ١٣٩٧هـ - نوفمبر ١٩٧٧م

(١) كان ذلك فى ذى القعدة ١٣٩٧ هـ وفى عهد وزيرها الدكتور محمد
عبده يمانى ، ووكيلها الدكتور عبد العزيز خوجة .

كلمة الناشر

ما كنت أود أن أقول شيئاً عن هذا الكتاب ، ولا عن كاتبه .. لولا أن مقدمة أستاذنا الكبير محمد عبد الغني حسن أشارت الى ذلك . وكانت اشارته عندي أمراً لا أملك له رداً ... وأن أستاذنا الجليل بكل ما وهبه الله تعالى من مميزات الصدارة ، لحري أن يأمر فيطاع ...

ولكن أعود فأقول ماذا عسى أن اكتب عنه .. أو عن كتابه ..؟

الكتاب دراسة ضافية يعرفها قراء أستاذنا الكبير عنه في كل ما يكتب ... فله من سعة اطلاعه وعلمه ، وسلاسة أسلوبه ما يمكنه حقاً من الصدارة ، ويجعله أهلاً لها ، وسيجد القراء في هذا الكتاب مصداقاً لكل ذلك .

وأستاذنا أكبر من التعريف ، فهو أحد أعمدة الأدب والبحث في العالم العربي ، يتسنى من المجد ذروته ، شعراً ونثراً وبحثاً ودراسة ، وتالياً ...

وهو ان كان في مصر شاعر الأهرام ، وكاتباً من رواد الرسالة ، وعضواً في مجمع الخالدين ، فهو في العالم العربي كله ، معروف مشهور ، ولم يبق أحد من طلابنا هنا في السعودية لم يقرأ له (بطل السند) .

عرفت أستاذنا في أكثر من مناسبة ، اذ قلما يُعقد مؤتمر للأدب .. أو التاريخ أو الآثار لا يدعى اليه ، فيكرّم - ويحتفى به ، وتُعرف له مكانته في كل تلك الميادين التي يعدّ من فرسانها المجلين ...

كما عرفت له قدره الأقطار العربية ، فدعى إلى أكثر من قطر ، وفعلت ذلك المملكة العربية السعودية ، حينما دعت وزارة الاعلام ، فأكرّمته واحتفت به ، وكان موطن الاعزاز والاکرام من كبار المسؤولين ، ومن الأدباء والعلماء ، وعارفي فضله ومكانته .

وبعد ؛ فان نفس القول يطول ... يطول ، لو أردت أن أستقصى ولو طرفاً يسيراً من أمجاده ، فلعل في هذه الاشارات شيئاً من بلاغ ...

ويكفي أن أقول : إن سلسلة « المكتبة الصغيرة » تشعر باعتزاز كبير وهي تقدمه لقرائها والى أولئك المعجبين بأدبه وعلمه وخلقه في كل مكان ... وبالله التوفيق .

عبد العزيز الرفاعي

صاحب دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع

الرياض في ١٤٠٢/١/٥ هـ

السحر والفن في العصر الفاطمي

كانت الأسباب كلها معينة على انتعاش الأدب وازدهاره في العصر الفاطمي . فالخلفاء أنفسهم فصحاء ذوو لسن ، بل كان بعضهم ينظم الشعر ، كما كان أكثرهم يستمع إلى الشعر ويثيب عليه . وكان ثراء الدولة الفاطمية سبباً آخر من أسباب ازدهار الحياة الأدبية ، وقد كان لهذا الثراء مظاهر تستتبعه وتستوجب أن يكون لدولة الأدب سوق نافقة . ولقد انتعش الأدب في مصر في العصر الفاطمي نتيجة لاستقرار الدولة ، وثبات الأمور ، وبقاء الأحوال مستقرة الى زمن طويل وفي فترات متوالية . ولنترك ما حدث من الاضطرابات بعد عصر « المستنصر » جانباً ، وخاصة في أيام « المستعلي » ، « والامر » ، « والمحافظ » ، « والظافر » ، و « الفائز » ، « والعاضد » . على أنه في عصر كعصر « الامر »

كانت قوة الوزارة مدعاة الى قوة الدولة ، فظهر بعض الشعراء المجيدين الذين كانوا امتداداً لشعراء العصور الأولى من الدولة الفاطمية .

وفي خلال هذه الحالة الأدبية المزدهرة وجدنا الشعر في العصر الفاطمي يزدهر تبعاً لذلك ، ويكثر شعراؤه المجددون ، بل وجدنا من الخلفاء أنفسهم اهتماماً بالشعر وتشجيعاً له ، وإثابة لأصحابه . وكان خلفاء الدولة قبل الفتح الفاطمي لمصر يعيشون في المغرب ، ويحتفظون بخصائص العروبة القوية ، ولم تفسد أسنتهم ، بل كان بعضهم ينظم الشعر ، كالخليفة « القائم بأمر الله » الذي اتبع سياسة أبيه « عبيد الله المهدي » في التطلع الى غزو مصر ، قبل أن تحضر اليها جيوش المعز لدين الله سنة ٣٥٨ هـ ، على يد القائد جوهر الصقلي . ويروي صاحب « سيرة الأستاذ جوذر » أبياتاً للخليفة « القائم » يفتخر فيها بنفسه وبشرف آبائه ، فيقول :

تبـدلت بعـد الزعفران وطيبه
صدا الدُّرْع من مستحکـمات السوامرِ
ألم ترني بعـد المقامة بالسرى
ولـين الحشايا بالخيول الضوامرِ
وفتيان صدق لا ضغائن بينهم
يثورون ثـورات الأُسود الخوادرِ
أروني فـتى يَغنى غَنائي ومَشهدى
إذا رهـج الوادى لوقـع الحوافرِ
أنا الطاهر المنصور من نـسل « أحمد »
بـسيفي أقـدّ الهام تحت المغافرِ

و « القائم » هذا الملقب بالمنصور هو
أبو الخليفة « المعز لدين الله » الذى فُتحت مصر
فى عهدِه . وكان المعز شاعراً أيضاً وأديباً ، وقد
نسب له المؤرخ ابن خـلـكان صاحب « وفيات
الأعيان » أبياتاً يقول فيها :

لله ما صنعت بنا
تلك المعاجز فى المعاجـرِ
أمضى وأقضى فى النفسِ
س من الخناجر فى الخناجرِ
ولقد تعبت بينكم
تعبَ المهاجر فى الهواجرِ

وعلى الرغم من ظهور الصناعة والعمل
والمحسنات البديعية على هذا الشعر ، فإن روح
العاطفة فيه تبيّن لنا أثر العيون التي تخفيها
المحاجر في قلوب الناظرين . وكذلك نسبوا الى
« المعز » شعراً آخر يقول فيه :

أَطْلَعَ الحُسْنَ من جبينك شمساً
ف فوق ورد في وجنتيك أَطْلَاءً
وكانَ الجمال خاف على الور
د جفافاً فمدَّ بالشعر ظلاً

والخيال في هذين البيتين جميل ، والصورة
مستحسنة ، وحسب الشاعر فيهما مرهف دقيق .
فان الجمال خشى على خد المعشوق الذي يشبه
الورد النضير أن تحرقه شمس الحسن من جبينه ،
فأنبت عليه خصلة من شعره لتكون بمثابة مظلة
له ... ولقد أعجب القدماء بهذه الصورة
المستملحة المخترعة ، حتى قال فيها ابن خلكان :
(أن هذا معنى غريب بديع) .

وقد نسب القدماء هذين البيتين مرة أخرى الى
الشاعر الفاطمي الاسكندري « ظافر الحداد » ،

كما وردت في ديوان ظافر المطبوع أخيراً لأول مرة ، وهى بشعر ظافر الحداد أليق ، وبنفسه أشبه . وليس من المعقول أن يكون الظافر قد اغتصبها وادعاها لنفسه ، ولكن الأقرب الى العقل أن ذلك الخلط من فعل الرواة الذين ينسبون ما لزيد لعمره ...

ونصادف عند المؤرخ « ابن أياس » اشارة الى شاعرية المعز لدين الله وفصاحته . وقد زاد المؤرخ بيتين في حصيلة ما ينسب الى المعز من شعر ، فذكر أن له شعراً جيداً منه :

ما بان عذرى فيه حتى عذرا
وبدا البنفسج فوق ورد أحمر
همت بقبيلته عقارب صدغه
فاستل ناظره عليها خنجرا

وكما كان الخليفة « المعز » شاعراً ، كان ابنه « نزار العزيز بالله » شاعراً ، كما كان الأمير « تميم بن المعز » أخو العزيز شاعراً مجيداً .

ويقول صاحب « النجوم الزاهرة » عن العزيز أنه (كانت لديه فضيلة ، وله شعر جيد) . وروى

له الثعالبي صاحب « يتيمة الدهر » شعراً قاله في
وفاة ولد له مات يوم عيد . وهو :

نحن بنو المصطفى ذوو مِحنٍ
يَجْرَعُهَا في الحياة كاظمنا
عجيبه في الأنام معتننا
أولنا مُبتلى وخاتمنا
يَفْرَحُ هذا الورى بعيد همو
ونحنُ أعيادنا ماتمنا ..

واذا كان كثير من الخلفاء الفواطم شعراء
وخطباء ، فلم لا يكون الناس في مصر على دينهم ،
ولم لا تقوم للأدب والشعر دولة في أيامهم ؟

وقد نسبوا الى « الحاكم بأمر الله » شعراً ،
ولكن يبدو أن خلط الرواة قد دخل اليه ، فذكروا
له ما ليس من شعره ، وقد وقع صاحب « النجوم
الزاهرة » في هذا الخلط مرات غير قليلة . على
أن المعروف عن « الحاكم بأمر الله » أنه كان
يستمع الى الشعر الجيد ، فيطرب له ، ويحسن
الاستماع اليه ، ففي « الذخيرة » لابن بسام أن
الشاعر الواساني هجا « يوسف بن علي » المشرف

على دمشق فى عهد الحاكم ، وبراقت أخبار هذا
الهجاء الى أذن الحاكم فى مصر ، وتسامع به بعد
أن تناقلته الأفواه ، فقال يوماً لجلسائه : أريد
سماع هذه القصيدة من رجل حسن النشيد !

وتذكر المصادر أيضاً عن الخليفة «المستنصر»
الفاطمي أنه كان شاعراً ، وكان فى شعره ابداع
وحسن ، وأنه كان له قدرة على ارتجال الشعر
فى بعض المقامات . وأنه كان يرد بالشعر على
بعض الرسائل التى كانت ترد اليه . ويذكرون
له فى هذا المقام بعض الأخبار . منها أن « المؤيد
فى الدين الشيرازى » عاد الى القاهرة سنة ٤٥٠ هـ
فمنعه الوزير ابن المغربى من لقاء الخليفة
المستنصر ، فأخذ المؤيد الشيرازى ينظم الشعر ،
ويرسل الكتب التماساً لمقابلة « المستنصر » ، الى
أن بلغه قول المؤيد فيه :

بِتاج كسرى ملك المشرقِ	أقسم لو أنك توّجتني
مَنْ قد مضى منهم وَمَنْ قد بقى	ونلتني كلّ أمور الورى
أجبت يا مولاي أن نلتقى	وقلت أن لا نلتقى ساعة
شيبَ فوديَّ مع المفرقِ !	لأن ابعادك لى ساعة

فلما وصلت الرقعة التي فيها هذه الأبيات الى
المستنصر ، أجاب عليها بخطه قائلاً :

يا حجة مشهورة في الورى	وطودَ عِلْمٍ أعجز المرتقى
ما غلّقت دُونك أبوابنا	ألا لأمر مؤلّم مغلق
خفنا على قلبك من سمعه	فصدّنا صدّاً أب مشفق
شيعتنا قد عدّوا رُشدهم	في الغرب يا صاح وفي المشرق
فانشر لهم ما شئت من علمنا	وكن لهم كالوالد المشفق
ان كنت في دعوتنا آخراً	فقد تجاوزت مدى السبق
مثلك لا يوجد فيمن مضى	من سائر الناس، ولا من بقى

وهذه البديهة الحاضرة في رد الجواب بالشعر
المكتوب لتوّه على الرقاع قد روى لنا « ابن تغرى
بردى » حادثة أخرى منها غير السابقة التي رواها
مصدر شيعي ، فقد جاء في النجوم الزاهرة أن
ناظر الدولة جاء بالأتراك سنة ٤٦٠ هـ الى الوزير
ابن كدنية وطالبوا الوزير بالمال ، فقال لهم
الوزير : وأى مال بقي عندكم بعد أخذكم
الأموال ، واقتسامكم الاقطاعات ؟ فطلبوا من
الوزير أن يرفع الأمر الى المستنصر ، فرفع
الوزير المسألة الى الخليفة في كتاب بعثه اليه ،

فأجاب المستنصر على كتاب الوزير وعلى الرقعة
نفسها بقوله :

أصبحت لا أرجو ولا اتقى إلاَّ الإلهي وله الفضل
جَدَّتِي نبي ، وإمامي أبي وقولي التوحيد والعدل

وقد كان الخليفة « الأمر بأحكام الله » شاعراً
يتذوق الشعر وينظمه في المناسبات ، ويقول عنه
ابن تَفَرَّي بردى : (كان للأمر نظم ، ونظر في
الأدب) وروى له عدة أبيات تختلط فيها النسبة
بين « الحاكم » و « الأمر » . وجاء في تاريخ مصر
لابن ميسر أبيات نسبها الى الأمر يقول فيها :

أما والذي حجت الى ركن بيته

جراثيم ركبَان مغلقة شهباً

لأقتعنَّ العربَ حتى يُقال لي

ملكْت زمام الحرب فاعتزل الحرباً

وينزل روح الله عيسى بن مريم

فيرضى بنا صعباً ، ونرضى به صعباً

وقد تكون هذه الأشعار المنسوبة الى خلفاء
الدولة الفاطمية مما انتحلها الرواة من أنصار
ذهب الفاطمي ، اعلاء لشأن هؤلاء الخلفاء
واثباتاً لفضيلة الأدب والفصاحة عندهم ، ولكن

لا شك أن فيها بعض الصحة ، فما الذى يمنع هؤلاء الأئمة العرب الأقحاح ، وهم من آل البيت النبوي الكريم ، أن يقولوا الشعر ، أو يُحسنوا الكلام ، وقد رأينا أن الشاعر الأمير « تميم ابن المعز » - وسنرى بعد - شاعر مجيد ، وله ديوان كشف عنه الفطاء بعد أن كان مفقوداً ؟

على أن أكثر خلفاء الفاطميين كانوا من أهل الفصاحة والمقدرة على الكلام ، فلم تعجزهم العبارات المرتجلة في المواقف التى تقتضى القول . فقد ذكر الامام السيوطى فى « حسن المحاضرة » أن المعز لدين الله توجه من المغرب قاصداً مصر فى شهر شوال سنة ٣٦١ هـ ، فوصل الى الاسكندرية فى شعبان سنة ٣٦٢ هـ وخرج أعيان مصر لاستقباله والسلام عليه ، والترحيب به ، فخطبهم خطبة بليغة . ويذكر ابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة أن المعز لما لقي أهل الاسكندرية وعظهم ، وأطال فى الوعظ ، حتى أبكى بعضهم .

ولقد دعا الى نهوض الشعر في العصر الفاطمي ذلك الميل من الخلفاء الفاطميين الى منافسة الدولة العباسية ببغداد ، وكأنها نصبت نفسها نداً لها ، فكل مظاهر الخلافة بجلالها وفخامتها في بغداد كان لها نظيرها في مصر ، بل أكثر مما كان لها هناك . واذا كان الشعراء يزدحمون على أبواب الخلفاء الفاطميين في القاهرة ، ولم لا يجذب الخلفاء أنفسهم الشعراء ويشجعونهم على الوقوف بأبوابهم ؟

وقد سمع « المعز لدين الله » شعر « ابن هانيء الأندلسي » ، فأحب أن يستجلبه اليه ويقربه منه ، فبعث اليه واستقدمه الى بلاطه ، حتى لا يحرم شاعراً مثل هذا ، وحتى يكون اسمه مقترناً باسم هذا الشاعر الفحل الذي كان يماثل المتنبي في المشرق .

فلما اتصل ابن هانيء بخدمة « المعز » مدحه بالقصائد الطوال الرنانة التي نجدها كاملة في ديوانه . وكان المعز يجيزه على شمره أجزل

العطاء ، ويبالغ في التقديمات له ، ولم يعطه المال
والذهب النضار وحسب ، بل كان يهب له
الضياع . ولما فُتحت مصر ، وجلس « المعز »
يتقبل التهنئات بفتحها دخل عليه « ابن هانيء »
وأنشده القصيدة الجزلة الرصينة التي يقول فيها:

يقول بنو العباس : هل فُتحت مصر ؟

فقل لبني العباس قد قُضي الأمر
وقد جاوز الاسكندرية « جوهر »

تطالع البشري ، ويقدمه النصر
وقد أوفدت مصر اليه وفودها

وزيد الى المعقود من جسر جسر
فما جاء هذا اليوم الا وقد غدت

وأيديكم منها ومن غيرها صفر
فلا تكثروا ذكر الزمان الذي خلا

فذلك عصر قد تقضى ، وذا عصر
ولما بلغ شاعرنا ابن هانيء الى قوله :

ألا انما الأيام أيامك التي
لك الشطر من نعمائها ولنا الشطر

التفت الخليفة المعز الى وزيره وقال : اكتب
له بالاسكندرية ، وسلموها اليه بمن فيها ، فهي
شطر ، وقد خصصناه به ... !

فالخليفة المعز الفاطمي هنا يحتال على الشاعر
الفعل بكل وسيلة ليستقدمه الى بلاطه ، وليفتخر
بأنه من رجاله وحاشيته ، ثم يزيد « المعز » في
العطاء فلا يعطى الدراهم والدنانير - وهى سلعة
المكافآت فى ذلك العصر ، وعملة الصلة فيه -
وانما يعطى الضياع ، لكل قصيدة ضيعة ، وكانت
الاسكندرية هى هبة « المعز » للشاعر ابن هانيء .
والشاعر فى هذه التهنئة يعلم قصة الصراع
والمنافسة بين الفاطميين والعباسيين ، فيستغلها
ويثيرها فى قصيدته بتساؤل بنى العباس : هل
فتحت مصر ؟ فيكون الجواب : قل لبنى العباس
قد قضى الأمر .

ولقد بلغ من عناية الدولة الفاطمية بالشعراء
أنها حصرت أسماءهم فى ثبت خاص ، ورتبتهم
على أقدارهم فى الشعر ، كترتيب الزوار فى
السلوك السياسى ، وجعلت لهم فى انشاد الشعر
نظاماً معيناً يتعاقبون عليه ، ولا يخرجون عنه فى

المناسبات التى ينشد فيها الشعر ، كالمواسم والأعياد .

ولقد ذكر « المقرئى » فى الخطط عند كلامه على حفل فتح الخليج أنه بعد أن يطمئن الخليفة الفاطمى الى مجلسه ، يستأذن صاحب الباب لحضور الشعراء للخدمة - يعنى لانشاد شعرهم - فيؤمر بتقديمهم واحداً بعد واحد ، ولهم منازل على أقدارهم ، الواحد منهم يتقدم الآخر بخطوة فى الانشاد . وهو أمر معروف عند عامل مكلف به يقال له النائب .

ومن مظاهر الاهتمام أيضاً بالشعراء أنهم لم يكونوا معروفين عند الدولة بأسمائهم وأقدارهم ومراتبهم فحسب ، بل عرفتهم الدولة بصورهم . فكان فى منظره « بركة الحبش » طاقات وكوى مفتوحة عليها صور الشعراء وهيئاتهم ، كل شاعر واسمه واسم موطنه ، وعلى جانب كل من هذه الطاقات قطعة من القماش كُتِبَ عليها قطعة من شعر الشاعر ، وعلى الجانب الآخر رف

ظريف مذهب ، فاذا دخل الخليفة وقرأ الأشعار ،
أمر أن توضع على كل رف صُرَّةٌ مختومة فيها
خمسون ديناراً ، وأن يدخل كل شاعر ويأخذ
صُرَّته بيده ...

ومن هنا كثُر الشعراء بمصر في العهد
الفاطمي كثرة لم نجدها في أى عصر آخر . ولقد
أحصى صاحب كتاب « الأدب العربي في مصر »
منهم اثنين وأربعين (١) شاعراً ، فيهم القليل
الوافد ، كعمارة اليمني ، وصريع الدلاء ،
وأحمد بن محمد الأنطاكي ، المعروف في كتب
الأدب والشعر بأبى الرقعمق ...

وبلغ من كثرة ازدهام الشعراء على أبواب
الخلفاء في العصر الفاطمي أن الخليفة « الحافظ
الفاطمي » قد أمر الشعراء أن يختصروا في
الانشاد حفظاً للوقت واختصاراً للزمن ، حتى
لا يطول مكث الخليفة في الاستماع لهم ، فان

(١) وقد أحصينا نحن - عن طريق مصادر ومراجع لم تتح لباحث قبل -
بضعة وثمانين شاعراً ازدهمت بهم مصر في خلال العصر الفاطمي . وضاعت
بالطبع أكثر دواوينهم .

الوقت مهما طال لا يتسع لهذه الكثرة الكاثرة من الشعراء ، ولكن الشاعر أبا العباس أحمد بن مفرج اعترض على هذا الأمر الخليفى بلباقة وكياسة يقول فيها :

أمرتنا أن نصوغ المدح مختصرا
لم لا أمرت ندى كفيك يختصر ؟

والله لا بد أن تجرى سوابقنا
حتى يبينَ لها في مدحك الأثر

ولما سمح للشعراء أن ينشدوا الأشعار على سجيّتهم ، لم يكفهم إلاّ يوم كامل يتعاقبون فيه على الانشاد حتى يفرغوا جميعاً مما أعدوه للمناسبة ...

ولقد نظم شعراء العصر الفاطمي - أو شعراء مصر الفاطمية - الشعر في كل غرض نظم فيه شعراء العرب قبلهم ، فقالوا في كل الأغراض المختلفة التي قال فيها الشعراء . ولم يتركوا فناً من فنون الشعر الا نظموا فيه . فقالوا في المدح ، والهجاء ، والرثاء ، والعزاء ، والوصف ،

والفزل ، والشكوى ، والعتاب ، والحكم
والنصائح ، والزهد .

وقد طبعت مصر الشعراء بطابعها ، ونفقت
على شعرهم ملامحها ، كما بان أثر المذهب
الفاطمي في شعر بعض الشعراء ، وظهرت
ملامح مصر واضحة في أكثر أشعارهم التي ضاع
أكثرها ، لأن الأيوبيين - وهم أنصار المذهب
السني - حاولوا أن يطمسوا كل أثر وملح
للدولة الفاطمية .

وفي الصفحات التالية من هذا الكتاب نعرض
بالتفصيل والدراسة شعر الشاعر الأمير
تميم بن المعز .

تميم بن المعز لدين الله

٥٣٣٧ - ٥٣٧٤ هـ

نحن هنا أمام شاعر من بيت الخلافة الفاطمية ،
فهو ليس شاعراً فاطمياً بالمعاصرة وحسب ،
ولكن (الفاطمية) تجرى في دمائه ، فهو الشاعر
تميم بن الخليفة المعز لدين الله الفاطمي الذي
فتحت مصر في عهده على يد جوهر الصقلي ، وهو
أخو العزيز الخليفة الفاطمي .

ولقد ظلم الشاعر تميم بن المعز الفاطمي في
حياته وبعد مماته من نواح كثيرة ... فلقد كان
أكبر أولاد المعز بالله وأحق أخوته عبد الله ،
ونزار - الذي ولي الخلافة ولقب بالعزيز -
وعقيل ، بالخلافة الفاطمية ، ولكن أباه المعز
لدين الله صرفه عن ولاية العهد ، وجعلها لنزار
- أو العزيز - ثالث أولاده .

ولا بد أن هناك أسباباً جعلت المعز يسلك هذا المسلك نحو ولده تميم . ولعله لمح فيه منذ أوائل صباه ما جعله يصرفه عن الاضطلاع بأعباء ولاية العهد والخلافة .

ويبدو أن تميماً كان منذ شبابه الباكر ضالعا مع جماعة من الساخطين الناقمين على أبيه المعز لدين الله حكمه ، وكان من هؤلاء الناقمين جماعة من أهل البيت الفاطمي نفسه ومن أبناء عم الشاعر تميم . مما جعل الخليفة المعز يعين لهم الأستاذ (جوذر) لرصد حركاتهم ، وتعقب خطواتهم على غرة منهم . وقد كانت الرسائل والكتب تتبادل بين هؤلاء الساخطين الثائرين وبين الأمير تميم الذي لم يكن يدرك تمام الإدراك خطورة ما هو مقبل عليه من المشاركة مع الثائرين . وكانت الأخبار بموقف تميم ترد الى أبيه المعز فلا يكاد يصدقها ، ويوصى الأستاذ جوذر بعدم التعرض لهؤلاء الثائرين لمجرد الاشتباه فيهم ، الى أن اضطر الخليفة المعز الى

تضييق دائرة الخناق عليهم ، فكتب الى الأستاذ
جؤذر يقول له : (يا جؤذر ! كنت خاطبتنا في
امر كتب القصرين الى دار تميم وغيره . فأمرناك
بترك التعرض لهم . وأذن الله قد أجرى على
فكرك ما فيه التوفيق . ونحن ما نظن بأحد سوءاً
من الأبعاد ، فكيف من الأقارب ؟ وقد ظهر لنا
بعض ما نكرهه . فاعمل على حمل ما يكون من
كتاب وغيره اليها ، ولا تنفذه حتى تعرفنا به من
حيث لا يشعر بك أحد البتة ان شاء الله) (١) .

وظاهر هذا الكلام أن المعز لدين الله الفاطمي
قد أدرك أن هناك حركة تدبر في الخفاء للثورة
عليه ، وأن في هذه الحركة بعضاً من أهل بيته
وأقاربه . وأن ولده « تميماً » ضالع مع
المتآمرين . ولعل الساخطين أقنعوا تميماً بنصرته
حتى يصل الى الخلافة ، وخاصة أنه أكبر أبناء
المعز وأحقهم بالخلافة بعد أبيه ...

(١) سيرة الأستاذ جؤذر - تعقيق د. محمد كامل حسين ومحمد
مهد الهادي شميرة ص ٩٩ .

ومن هنا بدأت الوسائس تنفذ الى قلب « المعز »
نحو ولده الأكبر تميم ، وأخذ يشك في كل خطوة
يخطوها ، وخاصة بالمغرب قبل مجيئه الى مصر .
ومما يؤكد هذه الوسائس أن أحمد بن الحسن
الكلبي ، أمير جزيرة صقلية من قبيل الفاطميين ،
كان له ولد اسمه (طاهر) ، وكان صديقاً حميماً
للأمير تميم بن المعز . وقد شك أبو طاهر في هذه
الصحبة التي اعتقد أن فيها شراً يدبر ، وأمرأً
عظيماً يبيت ، فكتب الى الأستاذ جوذر يطلب منه
الاذن من الخليفة المعز في قتل ولده : طاهر ،
لهذه الصحبة غير الطاهرة في نظر أمير صقلية .
ولقد أعجب الخليفة المعز بموقف أبي طاهر من
ولده ، كما أعجب بوفائه للخلافة الفاطمية أكثر
من حبه لابنه وفلذة كبده . ولكنه أمر بأن
يصرف أحمد بن الحسن الكلبي عن تفكيره هذا
نحو ولده ، وأن يقنع بأن الفاسد قد يُستصلح
بدلاً من قتله ، وبدلاً من الفضيحة التي لا يلحق
عارها الا أهله . ولعل رسالة الخليفة المعز

لدين الله الى الأستاذ جوذر تكشف لنا عن ناحية اخلاقية عظيمة من أخلاق المعز حيث يقول :
(يا جوذر ! كثر الله من أوليائنا مثل أحمد - يريد أحمد الكلبى - فوالله ما كان يشينه عندنا ويصوره بغير صورته الا بعض أتباعه الذين زينوا لهذا الصبي الشقي ولده صحبتته من كان سبب شقوته . ووالله ان توجعنا به كتوجعنا بمن لنا . لكن ابن أحمد - يريد طاهراً - يُرجى فيما يستقبل من الزمان ، ومديرنا نحن - يريد ولده تميماً - لا يرجى أبداً . اذ كانت الخطوة التى يرفع الله عز وجل بها أولادنا هى خطوة الطهارة ، ومن عَدِمَهَا كان كلاً على مولاه . والحمد لله على ما ساء وسر . فأما ما أراد أن يفعله أحمد بولده فامنع ، وتشفع له عنده ، وعرفه أن الصواب اصلاح كل ما فسد من غير ظاهر شنة يلحقه عارها ، ويبقى ذكرها مع الأيام . فما يخفى عليه أن ذلك يبقى فى الأعقاب . فليمسك . ويعمل ما يصلح فيما يستقبله ، فكونه

بين أيدينا يصلح فساد كل فاسد كان يسعى به
بينهما ... (١) .

قد تكون ضلالة الأمير تميم مع الساخطين على
أبيه الخليفة المعز هي السبب الرئيسي لغضب
والده عليه وصرفه عن ولاية العهد . ولكن
لا شك أن المعز رأى بحس الوالد وعينه وفراسته
التي لا تخطيء أن ابنه تميماً غير أهل لولاية
العهد ، ولا هو جدير بالخلافة حين تؤول إليه .
ولعله لاحظ في سلوكه وفي لون حياته وفي إثارة
حياة اللهو والمجون ما يجعله غير خليق بأن يملأ
المركز الخطير الذي يشغله أبوه والذي شغله خلفاء
الفاطميين من قبل . فقد كان تميم شاباً لاهياً
ماجناً ، وكان يأخذ من حياة اللهو بأوفى نصيب .
وليست الحياة في نظره إلا شرباً وزهراً وامراً .
وأما غير ذلك من مطالب المجد ، ومراقى الطموح
فكان غير مشغول بها ، ولا مصروف إليها . وفي
شعره مصداق لهذا الخط الذي اتخذته في الحياة .

(١) سيرة الأستاذ جؤذر - ص ١٢٠ .

وكثير هو الشعر الذى يصادفنا فى ديوان
تميم بن المعز والذى يعبر عن انصرافه التام عن
جد الحياة الى هزلها ، وعن صحوها الى سكرها ،
ومثل هذا الاتجاه لا يشجع خليفة على الوصية
بولاية العهد لولده . ومن هنا صرف المعز ولده
الأكبر « تميماً » عن ولاية العهد ، وجعلها فى
ولده نزار (العزیز) ثالث الأولاد .

ولكى نكون دقيقين فى مسألة ولاية العهد هذه
يجب أن نقول أن المعز لدين الله جعلها أول الأمر
لعبد الله ثانى أولاده والذى يأتى مباشرة بعد
تميم المصروف . ولكن القدر شاء أن ينتزع
عبد الله من أحضان والديه سنة ٣٦٤ هـ . وهنا
تطلع الأمير تميم لولاية العهد مرة أخرى ، ولكن
أباه المعز صرفه للمرة الثانية مع أحقيته لها
بالسن . ولكن المسألة هنا ليست محل أحقية ،
ولكنها محل أهلية . وقد بدا من سلوك « تميم »
ما جعله غير أهل لولاية العهد فى نظر والده ،
فصرفها الى نزار الذى لقب بالعزیز . ولما تولى

نزار الخلافة سنة ٣٦٥هـ عقب وفاة أبيه المعز
يئس تميم من التطلع الى الخلافة ، لأنها ستنتقل
بعد ذلك الى المنصور ولد العزيز الذى لقب بعد
ذلك بالحاكم بأمر الله الفاطمي .

والحق أن تولى العزيز نزار للخلافة الفاطمية
قد أياس أخاه الشاعر تميماً من طلبها أو التفكير
فيها ، فرضى بنصيبه الذى كان هو مسئولاً عن
تشكيله ، وسكنت نفسه الثائرة ، فلم يشترك فى
فتنة ، ولم يخالط ثائرين ، ورضى بمقامه فى
قصره الباذخ بالبستان المعروف بالمعشوق ، وآثر
الدعة والاسترسال فى حياة الملذات ، ولم يحقد
على أخيه الخليفة العزيز نزار ، بل كان يمدحه ،
كما كان يمدح أباه من قبل ، وكان العزيز
يعطيه ويمنحه ويزيد فى بره ، والشاعر يزيد فى
مدائحه وإخلاصه له . ويروى لنا ابن الأبار أن
الخليفة العزيز تنزه الى بركة الحبش ، فلما قرب
من قصور أخيه تميم سأل عنه فأسرع اليه من
عرفه ، فخرج راجلاً حافياً حتى لقيه فسلم على

أخيه العزيز بالخلافة ، وقال : يا أمير المؤمنين !
قد وجبت على عبدك الضيافة . قال : نعم . ودخل
معه الى بستانه ، وقد أمر بجنيبة من الجنائب التي
كانت بين يديه وأقسم على تميم أن يركبها
ويسايره ، فلما توسط البستان نظر الى ثمر
يلوح الذهب عليه ، فتعجب منه واستظرفه ،
ودنا من شجرة ، فأخذ منها ليمونة واحدة ، وإذا
مكتوب عليها بالذهب :

أنا الليمون قد غذيت عروقي

ببرد المساء في حرز حرير

فجعلها في كمّهِ وقال : هذه ضيافتى عندك !
وانصرف الى قصره ، فبعث الى جعفر بن قرهب :
صاحب بيت المال ، فقال له : ما عندك من الدنانير
ضرب هذه السنة ؟ وكان ذلك في أولها . فقال
له : مائة ألف وستون ألفاً . فأمره بحملها من
ساعته الى الأمير تميم مع راشد العزيزي ، وقال
له : أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول

لك : استعن بهذه على مؤونك ! فَقَبِّلَ الشاعر
الأرض (١) .

واذا كان شاعرنا تميم بن المعز قد ظلم في حياته بسحب ولاية العهد منه مع أنه - بحكم السن - كان المرشح لها ، فانه ظلم بعد مماته حين نسى الناس شعره ، وحين قل المترجمون لسيرة حياته ، وحين قل المتحدثون عنه في كتب التاريخ والأدب ، فأخباره قليلة جداً لا تتكافأ مع ما كان له من منزلة شعرية في عصره ، ولا نكاد نقع على خبر له الا مبثراً في كتاب هنا أو هناك ، حتى ديوانه الضخم الحافل بفنون من الشعر الجزل الرصين الرقيق لم يقدر له أن يرى النور لأول مرة الا في سنة ١٩٥٧م حيث أصدرته دار الكتب المصرية في ٤٧٦ صفحة مع تصدير للأستاذ محمد أبى الفضل ابراهيم ، ومقدمة جلييلة لمحققه المرحومين أحمد يوسف نجاتي ، ومحمد على النجار .

(١) العلة السيرة لابن الأبار - ص ٢٩٦ .

ومن عجب أن هذا الديوان العظيم لتميم بن المعز يظل مدفوناً طوال هذه القرون فيما يربى على ألف عام ، مع أن ما فيه من شعر وشاعرية يؤكد ملامح مصرية قوية في العصر الفاطمي ، بل يعد بداية رائعة للشعر الفاطمي . ولقد بلغ من اغفال أمر هذا الديوان أن شعر تميم كاد ينساه الناس مع أنه كان مما يتغنى به في حياته وبعد وفاته ، وأن كتب الأدب والتاريخ لا تكاد تروى له الا مقطوعات وأبياتاً من هنا ومن هناك ، كما في كتاب يتيمة الدهر للثعالبي ، والمغرب لابن سعيد المغربي ، وحسن المحاضرة للامام السيوطي ، ووفيات الأعيان لابن خلكان .

وأعجب من هذا أن الظلم والنسيان والاغفال والاهمال قد تناول الشاعر تميم بن المعز حتى في اسمه ، فتارة حرفوا اسمه الى : (أبي تمام معد) كما جاء في كتاب (تراجم الأعيان) للحسن البوريني(١) ، ولم يستطع الدكتور صلاح الدين

(١) تراجم الأعيان - طبع مجمع اللغة العربية بدمشق - ج ١ ص ٥٢ .

المنجد محقق الكتاب أن يحقق هذا الاسم أو يقف عنده مصححاً . وتارة يخلطون بين اسمه واسم والده : معد الملقب بالمعز لدين الله الفاطمي ، وتارة يذكر اسمه : (تميم بن مسعود) ، كما وقع على سبيل التحريف المطبعي في كتاب : (الأدب العربي في مصر) للمرحوم الأستاذ محمود مصطفى (١) .

ولم يقف الظلم لشاعرنا تميم بن المعز عند هذا الحد ، فقد أصابه الظلم حتى في تاريخ وفاته ، فقد ذكر المحققان لديوانه المطبوع بدار الكتب المصرية - وهما من أفضل الباحثين - أنه (توفي سنة ٣٧٥هـ ، وهو في نحو الثامنة والثلاثين من عمره) (٢) ولعلهما الوحيدان اللذان انفردا بهذا التاريخ من دون المؤرخين جميعاً . فما نعرف أن أحداً ذكر سنة ٣٧٥هـ لوفاة الشاعر تميم غيرهما . ففي وفيات الأعيان لابن خلكان أنه توفي سنة ٣٧٤هـ ، وعنه أخذ خير الدين الزركلي

(١) انظر صفحة ٢٢٥ من كتاب الأدب العربي في مصر لمحمود مصطفى .
(٢) ديوان الأمير تميم صفحة في .

في كتابه (الأعلام) والمرحوم الدكتور محمد
كامل حسين في كتابه (في أدب مصر الفاطمية) .

أما ابن الجوزي صاحب كتاب (المنتظم) المطبوع
بحيدر آباد الدكن في الهند فقد ذكر في الجزء
السابع ص ٩٣ أن الشاعر تميم بن المعز توفي
سنة ٣٦٨ هـ ، وعنه أخذ ابن « تَغْرِى بردى » في
النجوم الزاهرة ، وان كان السيوطي ذكر في
حسن المحاضرة أنه توفي سنة ٦٦٨ هـ ، وهو وهم
أو تحريف لم يلتفت اليه محقق طبعة (دار احياء
الكتب العربية) من ذلك الكتاب (١) .

واذا كان الظلم قد اصطلح على شاعرنا تميم
ابن المعز من نواح كثيرة ، فاننا لا نستطيع هنا
أن نغفل ظلماً آخر وقع عليه وهو حي ، وقد
جاءه هذا الظلم من بعض أقاربه الذي أشاع أن
الأمير تميمًا كان يستعين بغيره على عمل الشعر ،
فهو ليس شعراً خالصاً له ، ولكنه شعر اشتركت
فيه قرائح غيره ، ووجد هؤلاء الأقارب الحاسدون

(١) حسن المعاصرة - ج ١ ص ٥٦١ .

سبيلا الى نشر هذه الشائعات وترويجها ... فلم يجد شاعرنا مفرأ من الرد عليهم ودحض أقوالهم وتسفيه آرائهم بمثل المقطوعة التالية التى يقول فيها :

أرى أناساً ساء بى ظنهم	فى كل ما قلت من الشعرِ
لما تطأطأ بهمو علمهم	قاسوا بأقدارهمو قدرى
قالوا سواه صانع كل ما	يأتى به فى السر والجهرِ
لو فهموا أو عقلوا لاستحوا	أن يجعلوا المريخ كالبدْرِ
قيسوا بشعرى شعره تعلموا	تضايقُ النهر عن البحرِ
من بطل الحق هجا نفسه	بجهله من حيث لا يدري
فناظرونى فيه أو فاشرحوا	شعرى ان أنكرتمو أمرى
أولا فقولوا : حسد قاتل	مستمكن فى القلب والصدرِ

وتذكرنا هذه التهمة — التى يخيل إلينا أنها رخيصة وغير صحيحة — بما اتهم به الوزير المصرى طلائع بن رزيك — الملقب بالملك الصالح — من أن الأديب الشاعر المصرى المهذب بن الزبير كان يعمل له شعره .. فقد استكثر الأديب المؤرخ العماد الأصبهاني — صاحب الخريدة — على الوزير المصرى طلائع بن رزيك أن يكون له هذا الشعر الجيد البليغ المحكم المعانى ، فقال وهو يترجم له

فى الخريفة (... وله قصائد كثيرة مستحسنة ،
 أنفذها الى الشام ، يذكر فيها قيامه بنصر
 الاسلام . وما يصدق أحد أن ذلك شعره لجودته ،
 واحكام مبانى حكمته ، وأقسام معانى بلاغته ،
 فيقال ان «المهذب بن الزبير» كان ينظم له ، وأن
 «الجلس بن الحباب» كان يعينه (١) . ولم تقف
 هذه التهمة لطلائع بن رزيك عند العماد
 الأصبهاني صاحب الخريفة ، بل أن ياقوتاً الحموى
 صاحب معجم الأدباء يؤكد لها قائلاً : (ان أكثر
 الشعر الذى فى ديوان الصالح - يعنى طلائع بن
 رزيك - انما هو من عمل المهذب بن الزبير ،
 وحصل له من الصالح مال جم ، ولم ينفق عنده
 أحد مثله ...) (٢) .

ولا حاجة الى القول أن اتهام الشاعر تميم بن
 المعز بأن غيره كان يشاركه فى عمل شعره انما
 هو اتهام يحتاج الى دليل . وها هو ذا ديوان تميم
 ابن المعز كله على ضخامته بين أيدينا ، نقرؤه

(١) خريفة القصر ، وجريفة العصر - ج ١ ص ١٧٤ .
 (٢) معجم الادباء - طبعة د. فريد رفاعي - ج ٩ ص ٤٧ .

مرة ، ومرة ، ثم نبدىء ونعيد النظر فيه ، ثم ننتقل من صفحة الى صفحة ، ومن قطعة الى قطعة ، ومن قصيدة مطولة الى أخرى ، فنجد النفس فيه مستوياً ، لا دخل لنفس آخر فيه ، ولا نجد فيه علواً أو هبوطاً - كما هو الشأن عند اختلاف الناظم ، بل نجده كله على مستوى واحد من الجودة ، ومن الروح الواحدة ، ومن المذاق الواحد ، الذى قد يتغير بتغير الناظمين . ولماذا يستكثر الشعر الجيد على شاعر كتميم بن المعز ، أو شاعر فاطمى آخر مثل طلائع بن رزيك الآن الأول من أولاد الخلفاء ، والثانى من جلة الوزراء والأمراء ؟ الحق أن الشعر موهبة قد تعطى للأمير كما تعطى للفقير . وقد كان هناك فى الأدب العربي ملوك وأمراء يقولون الشعر ويجيدونه ، كما مرىء القيس فى الجاهلية ، وعبد الله بن المعتز فى الاسلام ، فلماذا لم يستكثر عليهم ما استكثر على « تميم » و « طلائع » فى العصر الفاطمى ؟

نجم بن المعز كتب التاريخ والفلسف

لقد كنا نطمع أن نجد لتميم بن المعز عند المؤرخين ورجال التراجم اهتماماً كبيراً بما له من مكانة شعرية في أوائل العصر الفاطمي ، وبما لشعره من قيمة أدبية كبيرة لا نجدها عند كثير من شعراء العصر الفاطمي . ولكن يبدو أن رجال السُنَّة حاولوا بعد انقضاء الدولة الفاطمية الشيعة أن يسدلوا ستائر من النسيان على رجال ذلك العهد . فقد نظر أهل السُنَّة الى كثير من شخصيات العصر الفاطمي بعين الريبة والحذر الذي جر الى الاغفال والاهمال . ورأينا مؤرخاً ادیباً منصفاً مثل العماد الأصبهاني صاحب الحريرة يقول عن شاعر مثل ظافر الحداد الأسكندري : (ظافر بحظه من الفضل ظافر ، يدل نظمه على أن أدبه وافر ، وشعره بوجه الرقة والسلاسة سافر ، وما أكمله لولا أنه من

مداح المصري والله له غافر) (١) ... فالشاعر
ظافر المداد يكاد يكون كاملا في نظر المؤرخ
العماد لولا أن النقص يدخل عليه من جهة أنه
مدح الخليفة الفاطمي !..

وعلى الرغم من الاغفال المقصود الذي رمى
به شاعرنا تميم بن المعز ، فقد استطاع بعض
المنصفين من مؤرخينا أن يُحدِّثوا له ذِكرا في
مصنفاتهم ، وأن يتناولوه بالحديث الموجز ، وأن
يسوقوا بعض النماذج من شعره .

ولعل ابن خلكان هو أوفى من استطاع أن يكتب
في « وفيات الأعيان » ترجمة لا بأس بها لهذا
الشاعر المصري المظلوم . ولا تزيد ترجمة
ابن خلكان للشاعر تميم بن المعز على صفحة
واحدة من وفيات الأعيان . وبالطبع لم يأت
فيها بكل ما يراد معرفته عن شاعرنا ؛ ولكنه
استطاع أن يقول لنا أن أباه المعز لدين الله كان
صاحب الديار المصرية والمغرب ، وهو الذي بنى

(١) خريدة القصر - ج ٢ ص ٢ .

القاهرة المعزية ، وأن تميماً هذا كان فاضلاً
شاعراً ماهراً لطيفاً ظريفاً ، وأنه لم يتول أمر
المملكة لأن ولاية العهد كانت لأخيه العزيز الذى
وليها بعد أبيه . وأن العزيز كان له أيضاً أشعار
جيدة كأخيه ، وأن الثعالبى ذكرهما فى اليتيمة ،
وأورد لهما كثيراً من المقاطيع ، وأن أشعار تميم
كلها حسنة ، وأن وفاته كانت فى ذي القعدة سنة
اربع وسبعين وثلاثمائة بمصر ، وأن أخاه الخليفة
العزيز نزار بن المعز حضر الصلاة عليه فى
بستانه ، وغسله القاضى محمد بن النعمان ،
وكفنه فى ستين ثوباً ، وأخرجه من البستان مع
المغرب ، وصلى عليه بالقرافة وحمله الى القصر
فدفنه بالحجرة التى فيها قبر أبيه المعز .

ثم أورد ابن خلكان فى خلال هذه الترجمة
الموجزة ثلاث مقاطيع من شعره اختارها من
قصائد مختلفة ، ونقل احداها عن يتيمة الدهر
للثعالبى ، وذكر بيتاً ينسب اليه وهو :

وكما يمل الدهر من اعطائه فكذا ملأته من الحرمانِ

على أن صاحب يتيمة الدهر لم يطل في ترجمته
للشاعر تميم أو التعريف به ، ولكنه أطل فيما
أورده له من شعر . وقد ذكره مرتين : مرة في
معرض الحديث عن ملح أهل الشام ومصر والمغرب
وطرف أشعارهم ونوادرهم ، ومرة في التعريف
به حيث قال عنه انه أبو علي تميم بن معد
صاحب مصر ، وأورد له طائفة لا بأس بها من
شعره الذى أنشده اياه الراوية علي بن مأمون
المصيصى . وقد طال القدر المستشهد به هنا من
شعر تميم حتى بلغ سبع صفحات .

ولم يفت المؤرخ الامام أبا الفرج بن الجوزى
المتوفى سنة ٥٩٧ هـ أن يترجم للشاعر تميم بن
المعز فى وفيات سنة ٣٦٨ هـ . وابن الجوزى هنا
يخالف ابن خلكان فى سنة الوفاة . والحق أننا
لا نستطيع أن نقول أى التاريخين أضبط . وفرق
ست سنوات فى الخلاف ليس شيئاً كبيراً بالنسبة
لما يصادفنا فى وفيات الرجال من اختلافات كبيرة ،
وقد يأتى الخطأ هنا من ناحية الرواة أنفسهم ،

ومهما يكن من أمر فان المؤرخ ابن الجوزى يذكر
عن الشاعر تميم أنه أحد أولاد المعز لدين الله
الفاطمي ، وأنه كان فيه (فضل ووفاء وكرم
وفصاحة ، وله شعر حسن) .

واذا كان ابن الجوزى وابن خلكان قد اشتركا
في وصف الشاعر تميم بن المعز بالشاعرية الحسنة
والفضل ، فان ابن خلكان انفرد بوصفه بالمهارة
واللطف والظرف ، كما انفرد ابن الجوزى
بوصفه بالوفاء والكرم والفصاحة ، وهى صفات
تدل في مجموعها على ما اختص به « تميم » من
أخلاق .

ولقد أورد ابن الجوزى حكاية طريفة عن
الشاعر تميم بن المعز لا بأس من إيرادها هنا لما
فيها من دلالة على محاسن الطبع عند شاعرنا .
قال أبو علي الحسن بن الأشكرى المصرى : (كنت
من جُلّاس الأمير تميم بن المعز وممن غلب عليه
جداً ، فبعث بى الى بغداد ، فاشتريت له جارية
رائعة من أفضل ما وجد فى الحسن والغناء ، فلما

وصلت اليه أقام دعوة لجلسائه وأنا فيهم ، ثم
وضعت الستارة وأمرها بالغناء ، فغنت :

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى
برق تاللق موهناً لمعانه
يبدو كحاشية الرداء ، ودونه
صعب الذرا متمنع أركانه
فبدا لينظر كيف لاح فلم يطق
نظراً اليه ، وصده سجانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه
والماء ما سحت به أجفانه

قال : أحسنت ، وطرب تميم وكل من حضر ،
ثم غنّت :

سيسليك عما فات أول مقضـل
أوائله محمودة وأواخره
ثنى الله عطفـيه ، وألف شـخصه
على البر مـذ شـدّت عليه مآزره

فطرب الأمير تميم ومن حضر طرباً شديداً .
ثم غنّت :

أستودع الله في بغداد لى قمـراً
بالكرخ من فلك الأزارار مطلعـه

فاشتد طرب تميم . وأفرط جداً ، ثم قال لها :
 تمنى ما شئت فلك مُنّاك . فقالت : أتمنى عافية
 الأمير وبقائه . فقال : والله لا بد لك أن تتمنى .
 فقالت : على الوفاء أيها الأمير بما أتمنى ؟ فقال :
 نعم ! فقالت : أتمنى أن أغني هذه النوبة ببغداد .
 فامتقع لون تميم وتغيّر لونه ، وتكدر المجلس ،
 وقام وقمنا كلنا . قال ابن الأشكري : فلحقني
 بعض خدمه وقال لي : ارجع فالأمير يدعوك .
 فرجعت فوجدته جالساً ينتظرني . فسلمت
 وجلست بين يديه . فقال : ويحك ! رأيت
 ما امتحنا به ؟ قلت : نعم أيها الأمير . قال :
 لا بد من الوفاء لها ، وما أثق في هذا بغيرك .
 فتأهب لتحملها الى بغداد ، فاذا غنّت هناك
 فاصرفها . فقلت : سمعاً وطاعة . قال : ثم قمت
 وتأهب ، وأمرها بالتأهب ، وأصحابها جارية له
 سوداء تعادلها وتخدمها . وأمر بناقة ومحمل ،
 فادخلت فيه ، وحملها معي ، ثم صرت الى مكة مع
 القافلة ، فقضينا حجنا ، ثم دخلنا في قافلة

العراق ، وسرنا . فلما وردنا القادسية أتتني
السوداء عنها ، فقالت : تقول لك سيدتى : أين
نحن ؟ فقلت لها : نحن نزول بالقادسية .
فانصرفت اليها فأخبرتها . فلم أنشب أن سمعت
صوتها تدافع بالغناء :

لما وردت القادسية حيث مجتمع الرفاق
وشممت من أرض الحجا ز نسيم أرواح العراق
أيقنت لى ولمن أحـب بجمع شمل واتفاق
وضحكت من فرح اللقا ء كما بكيت من الفراق

فتصايح الناس من أقطار القافلة : أعيدى
بالله ! أعيدى بالله . قال : فما سمع لها كلمة .
قال : ثم نزلنا بالياسرية وبينها وبين بغداد قرب
في بساتين متصلة ينزلها الناس فيبيتون ليلتهم ثم
يبكرون لدخول بغداد . فلما كان قريب الصباح
إذا بالسوداء أتتني مذعورة ، فقلت : مالك ؟
فقالت : ان سيدتى ليست حاضرة ، فقلت :
وأين هي ؟ قالت : والله ما أدري ! قال : فلم
أحس لها أثراً بعد . ودخلت بغداد وقضيت
حوائجي منها ، وانصرفت اليه فأخبرته الخبر ،

فعظم ذلك عليه ، واغتم له . ثم ما زال بعد ذلك
ذاكراً لها ، واجماً عليها) .

وهذه الحكاية الطريفة تدل على وفاء من
الشاعر تميم ، فقد امتحن بحب هذه الجارية
وتعلقه بها ، ولكنه قال لمجلسه الأشكري المصري :
لا بد لها من الوفاء بما وعدها به من أن ترجع
الى بغداد ، فجهز لها راحلة ورفيقة سفر على أمل
أن تعود اليه في مصر بعد قضاء أربها من العراق ،
ولكنها لم تعد وعاد جلسه منفرداً خالياً منها ،
فترك ذلك في نفس شاعرنا غمّاً عظيماً .

ويبدو أن هذه الحكاية الطريفة التي رواها
ابن الجوزي صاحب (المنتظم) نقلاً عن راويها
وشاهدها الأول : الأشكري المصري ، قد أعجبت
مؤرخنا ابن كثير صاحب (البداية والنهاية)
والمتوفى سنة ٧٧٤ هـ ، فرواها (١) ولكن باختصار
شديد ، فحذف الشعر الذي غنّته الجارية الا

(١) البداية والنهاية - ج ١١ ص ٢٩٣ .

الأبيات النونية الأولى ، وأوجز في تفصيل
الحوادث التي أطال فيها ابن الجوزي ، وتصرف
في النصر بكلام من عنده ، فجعل ختامها كما يلي :
(فلما سمع تميم خبرها شق عليه ذلك ، وتألّم
ألماً شديداً ، وندم ندماً شديداً ، حيث لا ينفعه
الندم ...) .

ولقد روى ابن كثير في البداية هذه الحكاية في
خلال ترجمته لتميم بن المعز الفاطمي في وفيات
سنة ٣٦٨ هـ .

وما دام ابن كثير قد أخذ ترجمته للشاعر
تميم عن المؤرخ ابن الجوزي ، فانه بالطبع قد
أخذ عنه تاريخ وفاته الذي ذكره وجعله سنة
٣٦٨ هـ ، كما أخذ ذلك صاحب النجوم الزاهرة
كما سلف القول ، وكما أخذه السيوطي المؤرخ
في (حسن المحاضرة) الا أن تحريفاً وقع فيه
فصار ٦٦٨ هـ بدلا من سنة ٣٦٨ هـ .

وحين ترجم السيوطي لتميم بن المعز في
الفصل الذي عقده بعنوان (ذكر من كان بمصر

من الشعراء والأدباء) فانه نقل حكاية الجارية
عن المؤرخ ابن كثير بايجازها ، ولم ينقلها عن
مصدرها الأول في كتاب «المنتظم» ، ثم تصرف في
النص على عادة المؤرخين حين ينقلون ، فجعل
الخاتمة هكذا : (فلما وصل الخبر الى تميم تألم
الماً شديداً ..) وأشار السيوطي في خلال تعريفه
الوجيز بالشاعر تميم الى أن ابن سعيد المغربي
ذكره في شعراء مصر ، وتبعه ابن فضل الله
العمري في (مسالك الأبصار) .

وليست اشارة ابن سعيد المغربي الى الشاعر
تميم بن المعز الا من باب الاشارات العابرة ،
فقد ذكره في كتابه (المغرب) في معرض الحديث
عن أبي ابراهيم الحسين الرسّى من أولاد الامام
علي بن أبي طالب المقيمين بمصر ، وكان
صديقاً لشاعرنا يتقارضان الشعر ، ويجاوبان
بالنظم ، ويكثران الخروج الى بساتين الأمير
وفرجه ، وروى له المحاوراة الشعرية التي يرد
بها على الرسّى قائلاً :

بلغت بلاغتك البديع وأكثر
فنظمت في الآداب لفظك جوهر

وشعرت ، حتى كدت تمنع كل من
حاك القوافي في الوري أن يشعرا (١)

كما ذكره في كتابه (عنوان المرقصات
والمطربات) ، حين اختار له من الشعر المرقص
قوله في الغزل :

أطلع الحسن من جبينك شمساً
ف فوق ورد من وجنتيك أطلا

فكان العذار خاف على الور
د جفافاً ، فقد بالشعر ظلاً (٢)

أما عليّ بن الحسن الباخري - صاحب دمية
القصر ، وعصرة أهل العصر - المتوفى سنة
٤٦٧هـ فقد ذكر تميم بن المعز مرتين في دميته .
ذكره مرة تحت اسم : (تميم بن معد صاحب
مصر) وروى له الأبيات السينية التي يقول فيها :

(١) المغرب لابن سعيد ، القسم الخاص بمصر - ج ١ ص ٢٥٠ .

(٢) عنوان المرقصات لابن سعيد المغربي ص ٥٨ .

يا ليلة بات فيها البدر معتنقى
وامست الشمس لى من بعض جلاسى
وبت مستغنياً بالثغر عن برد
وبالتحدود عن التفاح والآس
كما روى له الأبيات النونية التى يقول فيها :
أسرب مهأ عن أم سرب جنئه
حكيتنهنّ ولستنّ هتّه ؟
أانتن أنجم ذا الجمو أم
بروج النجوم جلابيكنّه ؟
ولم أر غيداً سواكن مسنّ
فاشبهنّ فى لينهنّ الأعنة

وأورد له بعض أبيات رائية فى الغزل يقول
فيها :

والله لولا أن يقال : تغيّرا
وصبا ، وان كان التصايبى أجدر
لأعدت تفاح الحدود بنفسجاً
لثما ، وكافور الترائب عنبراً
ووصفها الباخرزى بقوله : انها مستوفية
لجمل الجمال .

أما المرة الثانية التى ذكر فيها الباخرزى
شاعرنا تميماً ، فقد جمل اسمه (تميم بن المعز) ،

وكلتا التسميتين صحيحة ، فان أباه هو معد ،
الملقب بالمعز ، وقد روى له قوله يخاطب أخاه
الخليفة الفاطمي العزيز نزاراً :

الله ولاك الخلافة ، فانتقم لبنى علي من بنى العباس !

ويؤكد لنا البيت قليلا من كثير من مظاهر
المنافسة والصراع بين العلويين وأبناء عمهم
العباسيين .

أما المؤرخ ابن تَغْرِي بردى صاحب « النجوم
الزاهرة » ، فقد ذكر شاعرنا تميماً في وفيات
سنة ٣٦٨ هـ - وهي السنة الثالثة من ولاية أخيه
العزيز نزار على مصر ، وترجم له - أو عرف
به - تعريفاً وجيزاً في سطرين يقول فيهما :
(وفيها توفي تميم بن المعز معد العبيدي الفاطمي ،
أخو العزيز هذا صاحب مصر . وكان تميم أُمِيز
أولاد المعز ، وكان فاضلاً ، جواداً ، سمحاً ، يقول
الشعر . وشقق موته على أخيه العزيز ...) ،
ويلاحظ أنه تابع في تاريخ وفاة الشاعر ما ذكره
من قبله المؤرخ ابن الجوزي في « المنتظم » .

ولا ننسى أن في (سيرة الأستاذ جُوزر) من تصنيف أبي عليّ المزيزي الجوزري قدراً لا بأس به من أخبار الشاعر تميم بن المعز .

هذا كل ما جاء في الكتب القديمة من سيرة الشاعر تميم بن المعز وأخباره وأشعاره . وقد ظل الرجل ملقى في زوايا الإهمال والنسيان مهتماً طويلاً لا يتفق ومكانته في الشعر المصري ، الى أن جاء العصر الحديث ، وكان المرحوم الدكتور محمد كامل حسين أستاذ الأدب المصري بجامعة القاهرة معنياً بأخبار الفاطميين في مصر ، فلما التقى بشاعرنا في نسخة مخطوطة من ديوانه أحب شعره ووجد فيه من القيم الأدبية ما لا يجوز إغفاله ، فكتب عنه في غير كتاب واحد من كتبه ، وتناوله بالحديث عنه في كتابه : (في أدب مصر الفاطمية) ، وذكره في هذا الكتاب في أكثر من خمسة وعشرين موضعاً ، وقال عنه في الفصل الذي عقده خاصاً بالشعر والأئمة الفاطميين أنه هو الشاعر الذي يقرن دائماً بالشاعر ابن المعتز

العباسي ، لما بينهما من تشابه . فكلا الشاعرين من بيت خلافة ، وكلا الشاعرين من شعراء البديع ، وكلاهما ممن أكثر من الوصف والمجون ، وكلاهما دافع عن عقيدته وحق ذويه في الخلافة . فهما متشابهان في أمور كثيرة جعلت مؤرخي الأدب العربي يقرنون بينهما دائماً ... وهذا التشابه بين تميم وابن المعتز ، الذي يشير اليه المرحوم الدكتور محمد كامل حسين ، قد ذكره ابن فضل الله العمري في « مسالك الأبصار » ، ونقله عنه السيوطي في « حسن المحاضرة » حيث يقول صاحب المسالك : (تشبه بابن عمه المعتز ، وتشبه بذيله فما قدر أن يبتز . وهو وان لم يزاحم ابن المعتز فانه لا يقع دون مطاره ، ولا يقصر ذهبه الموزون عن قنطاره ...) (١) .

وعلى الرغم من نزعات اللهو والمجون التي غلبت على الشاعر تميم بن المعز وعلى شعره ، حتى

(١) حسن المحاضرة - ج ١ ص ٥٦٠ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

تكاد تكون صورة صارخة في ديوانه الضخم ، فان صاحب كتاب (في أدب مصر الفاطمية) قد لاحظ بالطبع هذه الظاهرة الواضحة في شعر واحد من أبناء الخلافة ، بل في شعر ابن خليفة فاطمي ، وأخى خليفة فاطمي ، ولكنه - مع هذا - قدره في آخر الترجمة له بقوله : (وشعره ان دل على شيء فانما يدل على رقة شعوره ، ورقة العاطفة وصدقها ..) (١) .

على أن مؤرخاً أديباً معاصراً هو المرحوم محمود مصطفى الأستاذ بكلية اللغة العربية بالجامعة الأزهرية كان من أوائل من نبهوا الى الشاعر تميم بن المعز ، والى القسيم الجمالية في شعره ، فأتى به على رأس من ترجم لهم من شعراء الدولة الفاطمية . وعلى ما في ترجمته من ايجاز فانه ساق بعض نماذج من شعره في الغزل والشكوى وصف نيل مصر ، وكان مجمل رأيه فيه أنه (طروق في شعره أغلب أغراض الشعر ، ولكن

(١) في ادب مصر الفاطمية - ص ١٧٣ .

يغلب عليه الغزل ، وهو أليق الأغراض بأمر
مترف كتميم ، وقد رق غزله حتى كان منه
ما يتغنى به ...) (١) .

وإذا كانت دار الكتب المصرية قد أنصفت
كل الانصاف باصدار ديوان تميم بن المعز ، فان
المقدمة التى كتبها المحققان فى سيرة شاعرنا
وحياته وشعره تعد من الدراسات الجيدة المنصفة
التي كانت ثمرة جهد كبير ، وتحقيق دقيق .
وبهذا أضافت الى الحصيلة الأدبية التي كتبها
القدامى والمحدثون عن هذا الشاعر الأمير الذى
يعد مفخرة للشعر المصري فى عصر من أزهى
عصور الحضارة المصرية .

(١) الأدب العربي فى مصر من الفتح الاسلامى
الى نهاية العصر الايوبي - ص ٢٢٥ .

صورة خُلُقِيَّة

نستطيع مما ذكره بعض مؤرخي الأدب ورجال
السُّنن والطبقات عن شاعرنا تميم بن المعز ،
وما قاله هو عن نفسه في شعره ونضحت به بعض
اشعاره وبعض مسارات سلوكه ، أن نرسم صورة
كاد تكون أقرب الى الحق في رسم ملامح
تميم بن المعز .

لقد وصفه المؤرخ ابن خلكان في وفيات
الأعيان بأنه كان (فاضلاً شاعراً ماهراً لطيفاً
طريفاً) . ووصفه المؤرخ ابن الجوزي بأنه كان
فيه (فضل ووفاء وكرم وفصاحة ..) . ثم جاء
المؤرخ الأتابكي صاحب النجوم الزاهرة ،
فوصفه بأنه كان (فاضلاً ، جواداً ، سمحاً ،
يقول الشعر ، وشق موته على أخيه العزيز ...) .
ويقول عنه الدكتور محمد كامل حسين (بأن

شعره يدل على رقة شعوره ، ورقة العاطفة
وصدقها) .

فنحن هنا أمام شاعر تكاد تلتقي الصفات على
نعتة بالفضل والوفاء والجود ، والسماحة ، ورقة
الشعور وصدق العاطفة .

ويظهر أن الظروف للسياسية الكثيرة التي
مرّت بالشاعر تميم ، وما تعرض له من سخط
والده المعز لدين الله عليه بسبب انحرافات
السياسية والشخصية ، وما أصيب به من صرف
عن ولاية العهد ، وقطع الأمل منها في مرتين
اثنتين ، وما نكب به من ضياع الخلافة منه ومن
ولده على كل ذلك ، قد جعله يسيء الظن بالناس
جميعاً . فهو يوقن أن الانسان وغد ، وأن أهل
زمانه خليون من الوفاء ، وأن قلوبهم طافحة
بالحقد الذي يؤججها ناراً حامية . مما جعله
يشكو من الناس حتى في المواطن التي لا تتوقع منها
الشكاة . ففي إحدى مدائحه لأبيه المعز - وما
أكثر ما مدحه - يقول في مرارة :

ومن كان ذا علم بأهل زمانه
تيقن أن الناس كلهمو وغد
وأنهمو لا يستترق حفاظهم
وفاء ، ولا يفتنى لهم أبداً حقد
إذا فرقوا أبعدوا وداداً وذلة
وأنفسهم حرب وألسنهم لند
فلا ترحم الأعداء يوماً ، ولا تلم
حسوداً ، فما ان يرتضى ضده الضد

ولعل شاعرنا حين صدمته الأحداث، وعاكسته
الظروف ، برم بالناس ، واستوحش منهم ، وآنس
العزلة في بساتينه وقصوره .

على أنه وهو في مغدى ومراح من مسارح لهوه
لم يحبس يده عن معروف ، ولم يفلها عن
كرم . فهو كريم يجود بكل شيء ، وهو يستهدى
الصحاب ويهدى اليهم . وفي ديوانه كثير من شعر
الاهداء والاستهداء . وقد عرف بعض الناس
ميله الى القلم والى الكتب - وخاصة كتب الأدب
والشعر والعلم - فأتحفوه بهدايا من هذا اللون
الذى يحبه . وهو يتقبل هذه الهدايا بحسن
القبول ، ولطف التلقى ، ويشكر أصحابها عليها

شعراً ، كالذى فعله حين أهدي اليه بعض الأصحاب
كتاباً فيه شعر وعلم فكتب اليه :

وصلت هديتك التى هذبتها
تهذيبها فى الوزن والمنثور
دريسة الآداب الا أنها
معشوقة التطويل والتقصير
هى كالرياض اذا تضاحك نورها
وصفاء ودك فيه كالكاغور

وهو يهدى الى أصحابه الهدايا ، فاذا شكروه
عليها بالشعر ، أجابهم كذلك بالشعر ، كالذى
فعله حين أهدي الى أبى عبد الله الحسين بن
ابراهيم الرستى غروساً من الزهر ، فلما شكره
المهدى اليه شعراً أجابه بشعر يقول فيه :

أما الرياض فانها مسروقة
للنبت من الفضاك الغراء
إنى بعثت بها إليك ، وانها
لذوات اطراق ، وذات حياء
كالشئ يستهديه منى ربه
أنت الأحق بها وبالاهداء
منك استعار الحسن كل محسن
فلك انتساب محاسن الأشياء

وعلى الرغم من حياة القصف واللهو والمجون،
التي اختارها الشاعر تميم بن المعز لنفسه ،
فقد كان فيه ضراعة وخشوع قد يظنان لأول
وهلة تناقضاً لحياة المجون ، ولكنهما في الحق
تكفير عن الذنب ، وشعور بالاثم ، واتجاه الى الله
بالمغفرة . فليس غريباً أن نجد في ديوان تميم
ابن المعز شعر الزهد والخشوع والضراعة
والتبتل ، بجانب شعر اللهو والعبث .

وحين تقرأ زهديات تميم وضراعاته يخيل
اليك أنك أمام شاعر من أتقى الأتقياء ، ممن
قطعوا بالحياة كل صلة ، وبتثوا بالدنيا الفرور
كل علاقة . فقد زار مرة القرافة - وهي دار
الموتى - فأوحت اليه هذه الزيارة بقصيدة يقول
فيها :

رجوتك يا رب لا انى	أطعتك طوع أوى الانتهاء
ولكننى مؤمن ، موقن	بانك رب الورى والسماء
وانك اهل لحسن الظنون	وانك اهل لحسن الرجاء

فالشاعر هنا - وفي مقام العبرة - يحسن
ظنه بالله ، ويحسن رجاءه فيه ، لعل هذا الاحسان
يمده بالطمع في لهو يوم جديد !..

وكان في شاعرنا تواضع للناس جميعاً على
الرغم من مكانه من بيت الخلافة ، ومنزلته من
الامارة الفاطمية . فهو - على الرغم من عزلته -
ودود لمن يتودد اليه ، أَلوف لمن يألفه . وحينئذ
ينسى أنه أمير بن خليفة أو أخ لخليفة ، فهو يدعو
الى مشاركة الناس في سرّاتهم وضرّاتهم ،
هينهي عن التكبر قائلاً :

فكن لجميع الناس فيه مشاركاً
فعملاً قليل سوف تصحو رعوده
ولا تتكبر ان قدرك فوق ما
ملكته ، وان الكبر مالا يزيده
وزد لعطاء الله ذل تواضع
فانك والأقوام طراً عبيده (١)

واذا كانت بعض المصادر تشير الى سماحة طبع
الشاعر تميم بن المعز ، فان الأحداث المسطورة في

(١) ديوان الأمير تميم - ص ١٣٨ .

الديوان تؤيد ذلك الخلق فيه ، فلم يكن حاقداً
ولا ذا غل ، ولم يك فظاً جافياً ، ولكنه كان
رقيقاً في طبعه كما كان رقيقاً في شعره ، وكان
واسع الصدر جميل المفخرة ، يقبل الاعتذار ممن
أساء اليه أو قصر في حقه أو زل معه زلة عن غير
قصد ، ويصفح عن الجاني وينسى اساءة المسيء ،
بل يحتال الأعذار لصاحبه حين تسلف اليه منه
خطيئة . فقد جرى من أحد أصحابه نحوه ما
أوجب على هذا الصاحب الاعتذار مما فرط منه ،
فكتب اليه شاعرنا قابلاً عذره ، غافراً ذنبه ،
صافحاً عن زلته قائلاً في سماحة طبع :

ما معاذ الذنب عن ذوى الاقتراف
قط كالاعتذار والاعتراف
قد قبلنا اعتذارك المعض لما
جئت مستجدياً لعفو معاف
وصفحنا عن زلة لم تكن منك
مراداً ، ولا أتت عن خلاف
إن علمي ببعض ودك مغبين
لك عندي عن اعتذار كاف
لو أتى الذنب منك في غير سهو
لقبلنا الانصاف بالانتصاف

قد علمنا بأنك المخلص الحما
فظ للغيب والولي المصافي

وكما كان شاعرنا يقبل اعتذار المعتذر عن
ذنب المقر بزلة ، فانه كان يعتذر هو نفسه عما
يمكن أن يكون فرط منه في حق أصحابه وأهله
بلا قصد . وهو يرى الصغيرة تقع منه كبيرة
فيلتمس الاعتذار عنها بما يرجو منه التكفير
عنها . فقد حدث في أثناء قيام أخيه الخليفة
العزیز نزار بالخلافة الفاطمية أن عرضت له
بعض أمور شغلته عن أن يقوم بواجب زيارته .
فكتب الى أخيه معذراً يقول :

ضرورة كان تأخيري زيارتكم
وقد عفا الله قدماً عن أولى الضرر
لو لم يكن لي عذر أنت تعلمه
لجئت أسعى بلا عذر ، على بصري
مودة العين لا يزكو الوفاء بها
والود بالقلب ، ليس الود بالنظر

وهو هنا ليس كريماً في الاعتذار فحسب ، بل
هو رجل لبق يؤكد لأخيه الخليفة أن انقطاعه عن

رؤيته لا يدل على ضعف في الود ، أو وهن في الحب ، فان المودة بالعين لا تؤكد وفاء ، ولا تزكى ولاء ، والعبرة بود القلوب لا بود الأنظار ...

ويجرنا الحديث عن الوفاء الى ما امتاز به الشاعر تميم بن المعز من وفاء نادر لأهل بيته ، وصحابته ، وكل من اتصل به . ويتجلى وفاؤه في رثائه لأبيه الخليفة المعز ، رثاء حاراً على الرغم مما حدث في حجه عن ولاية العهد . وهو يرثي أخاه (عبد الله) ثانياً أبناء المعز الفاطمي والتالي لتميم في الولادة ، وقد كان أبوه يهيئه لولاية العهد قبل تميم الذي هو أكبر الأبناء وأحقهم بولاية العهد . وهو لا يرثي أخاه رثاء (رسمياً) متكلفاً ، ولكن رثاءه له يصدر عن عاطفة أخوية مشبوبة ، حيث يقول فيه :

يا أخى ! أى عـبرة ليس تهـمى
وفـؤاد عـليك ليس يطـير ؟

يا أخى ! ان بكتـك عـينى ، فـانى
بالـبـكا ، والـأسى عـليك جـدير

يا أخى عبد الله ! أى مساع
 لم يفقهن سميعك المبرور ؟
 يا أخى ! ان صاحبي وأخى بعد
 ك تلهاب' لوعنة وزفير'
 وفؤاد عن السلو عنيـد
 ومن الصبر والعزاء نفور'
 كنتَ ملء الجفون نوراً فامست
 ملؤها مدمع عليك غزير'
 خاني بعدك التجلد والصبـ
 ر على أننى الجليد الصبور' ...

وقد بلغ من وفاء شاعرنا فى مراثيه أنه لم
 يتخلف عن رثاء جواريه وقيانه حين ينفذ فيهن
 حكم القضاء . فقبيل وفاته بشهور توفيت جارية
 له سنة ٣٧٤هـ فرثاها بقصيدة مؤثرة يقول فيها :

يا حبذا واصلك لو لم يبين
 وحبذا قـربك لو كان دام
 ما كنت إلا كـبدى قـطعت
 ومقلتى بانـت ، وقـلبى استهام

وعلى الرغم من صفة التواضع التى تجلّت فى
 أخلاق الشاعر تميم بن المـز ، فانه كان شديد
 الاحساس بنفسه وبكونه من أهل البيت العلويين :

وكثيراً ما ساقه هذا الاحساس الى المغالاة بعرفان نفسه ، والى الغلو فى افتخاره . وديوانه مملوء بأشعار الفخر . والحق أنه هنا يعوّض عما فقدته من مراكز القوة فى الدولة الفاطمية ، فقد كان أولى بالخلافة من أخيه العزيز ، لولا أنه أضعافها بما جنت يداه من ممالأة على الساخطين على أبيه من ناحية ، ومن انصراف تام الى حياة اللهو والفراغ من ناحية أخرى . فلما رضى بانغماسه فى حياة لاهية بين القصف والمجون أراد أن يعوض عن ذلك بفخر يلجأ فيه دائماً الى شرف انتمائه الى البيت العلوى . وقد يلجئه ذلك الى المبالغة والغلو ، كقوله :

جلت مساعي عن الفخر
 فهى نجوم الأنجم الزهر
 وكيف يحصى الفخر تعدد ما
 أحوى ، وقد زاد على القطر
 من فضل نوري نور شمس الضحى
 ومن سنا عرضي سنا البدر
 أى كريم لم يشم شيمتى
 وأى عافى لم يرد بحرى ؟

وأى مجد لم السج بابـه
وأى علم لم يـلـج صدرى
يفتخر الفضل بكسبى له
وتسمع الأيـام مـن امرى

ولا يكتفى شاعرنا بأن يبلغ فى مبالغته وغلوه
هذا المبلغ ، بل انه فى القصيدة نفسها يقسم
بالبيت الحرام وحجابه والركن والمشعر والحجر
أن الشمس فى جوها لو أضمرت له سوءاً لعادت
وتوقفت عن الدوران !

أقسم بالبيت ومَن حَجَّه
والركن والمشعر والحجر
لو أضمرت لى الشمس فى جوها
سوءاً لـراحت وهى لا تجرى
وكل من أبغضنى إنه
يموت أو يعيا على صغـر

وهى مبالغات تذكرنا بمبالغات الشاعر
المصرى ابن سناء الملك الذى جاء بعد تميم فى
القرن السادس وتوفى فى القرن السابع سنة
٦٠٨ هـ .

ويبدو لنا أن شاعرنا تميم بن المعز الفاطمي كان ذا شخصية مزدوجة ، فهو مجمع للنقائص في وقت واحد . فبينما تراه عاكفاً على اللهو غارقاً فيه الى الأذقان ، اذا به في اليوم نفسه زاهد خاشع لله تعالى ، كثير الخوف منه والرجاء فيه . . .

ولقد اختلطت هذه الشخصية المزدوجة فيه اختلاطاً عجيباً ، أفقده التوازن في الأمر ، ونسيان الاعتبار للمقامات التي يقال فيها الكلام . فهو في مدحه يمزج المدائح بالخمريات والفزل المكشوف تارة ، والملفوف أخرى . وقد يكون المزج بين المدح والخمريات شيئاً غير معيب على أساس أن الشعراء قبل تميم كانوا يفعلون ذلك ، وكانوا يقدمون بين يدي مدائحهم وغيرها بالفزل والنسيب . ولكن أليس من مجافاة الاعتبار للمقامات أن يمدح شاعرنا تميم أباه المعز ، أو أخاه العزيز ، وهما خليفتان لدولة دينية اسلامية علوية ، فيقدم لمدحه بالفزل ناسياً مقام الخلافة الفاطمية .

فيقول متغزلاً ومادحاً أخاه العزيز ، ويلاحظ
أن هذه القصيدة هي أول ما قاله في العزيز
بمجرد توليه الخلافة :

جارية مرهفة القد	ظالمة مظلومة الحد
كالقمر الطالع ... لكنها	في حسنها كالرشأ الفرد
في ليلها البدر ، وفي دعصها	غصن به رمانتا نهدي
تبسم عن برق ، وعن لؤلؤ	منظم أحلى من الشهد
بتنا معاً تحت ظلال الدجى	من مفرش الورد على مهد

الى أن يدخل على مدح العزيز بعد هذا الغزل
الصارخ بقوله :

لا زالت « الجيزة » معمورة	بكل مخطوف الحشا نهدي
أنى ألد العيش فيها بما	أولى (عزيز الدين) من رقد
المجد بسام الى ماجد	أروع بسام الى المجد
كأنما راحته مزنة	تندى بلا برق ولا رعد

وقد يكون الغزل والنسيب في مطلع قصائد
المديح مقبولا ومعروفاً عن الشعراء من قديم ،
ولكن حين يصرح الشاعر بأنه بات تحت ظلال
الدجى مع حبيبته ، ويعالّن بذلك أمام أخيه

الخليفة الامام الفاطمي فذلك غير سائق ولا مقبول .

وقد يكون التهتك وطرح الحياء ليس ضرورياً
أمام الأخ الشقيق حتى وهو في مقام الخلافة ،
وأبهة الملك ووقاره . ولكن ما بال التوقر يخطيء
شاعرنا تميم بن المعز وهو يمدح أباه المعز لدين الله
أو يخاطبه شعراً ؟ أما كان الأولي بصاحبنا أن
يرعى لهذا المقام الأبوى الامامي جلاله ووقاره ؟
ولكننا نراه يتفزل في مدحه لأبيه قائلاً :

إذا وعدت هند ثنى جودها الوعد
وان سمحت يوماً فنائلها ثمــد
يضيق بها خلخالها وسوارها
ويجذبها من خلفها كفل نهــد
وان هي أسرت في الدجى نمّ حُسْنُها
عليها ، ونمّ الحلى ، والمسك ، والنــد

ويمضى في مثل هذا الغزل ، ويطيل فيه في
القصيدة المدحية ، ثم يدخل على الفخر تخلصاً
منه الى مدح والده حيث يقول :

وأزهد في كل الأنعام صيانة
لقدري ، وأما في المعز فلا زهد
هو الملك القرم الذي سبقت له
اليّ أيساد ليس يعصى لها عهد
وما راح عن كسب المعامد مقصراً
ولو خباتها بين أنيابها الأسد

ويبدو أن شاعرنا قد أدرك بأخرة أن مقام
الأبوة والامامة الفاطمية أعلى من أن ينال بغزل.
ولهذا نراه فيما تلا ذلك من مدائح لأبيه
المعز يعرض عن هذين الفرضين العارضين ،
ويدخل على مدح والده بلا مقدمات من غزل
.. كما قال في تهنئة يوم عيد :

ألا كلّ يوم من زمانك عيد
وهل فوق اشراق الضعائم مزيد
زمان كريمان الشيبية ناعم
وعصر قديم (بالمعز) جديد
ولكنّ يوم العيد خصّ بموقف
له كل أيام الحياة سعود
يلوح عليه من تجليك رونق
ويظهر فيه من سنائك وقود

وكقوله فى مطلع قصيدة أخرى يمدح بها أباه
المعز ويشكره على فرس أنفذها إليه :

ألا هل لألفاظى طريق الى العذر
فدون الذى أوليته رتبة الشكر
وما الشعر فى قدر الأئمة زائد
ولكنّ نظم الدر أشهى من النشر
وما هزّنى الا الامام وعطفه
واطفاء ذاك الجمر من ذلك الصدر

وكقوله من أرجوزة أخرى وقد استهلها بمدح
أبيه مباشرة من غير تمهيد :

يا من حوى الفضل ، وحاز الفخرا
وكسف الشمس ، وفاق البدرا
انى وان اتعبت فيك الفكر
حتى أجدت وزنه والنشرا
لمستقل لعلاك الشعرا
يا من اذا ما جاد فاق القطرا
ويتبع المعروف منه العذرا
ويبذل المال ، ويشرى الشكرا

وكقوله مجيباً والده عن جواب كتبه إليه ،
فقال بدون غزل ولا نسيب :

توسع دهر لم يضق بك وسعه
 على أن أهل الذكر دونك والدهر'
 'أجل' (مَعْدَا) أن أقول كأنه
 وأكبره عن أن يحيط به الشعر'
 وقالوا من الشمس انتضى البدر نوره
 ولو علموا قالوا هو الشمس والبدر'
 وكقوله مخاطباً أباه المعز وقد تناول دواء
 للتداوى :

يا سراج الأنام جنحَ الظلامِ
 ومُيِّدَ العُدَاةِ يومَ اللطامِ
 والذي جَلَّ أن يساوى بِشَمْسِ
 أو يبدر التمام عند التمامِ
 والذي عمَ بالجدا والعطايا
 والنسوال الجزيل كلَّ الأنامِ
 والذي يرتجى لـدين ودنيا
 والمصطفى من كل عيب وذامِ
 والذي رأسه إذا أيل الخطـ
 ب وأعيى أمضى من الصمصامِ
 والذي صوله إذا صال في حر
 ب الأعنادى كصوله الضرغامِ
 ان ذا اليـوم اذ شـربت دواء
 فيه يوم من أفضل الأيام ...

وهكذا استقام الأمر لشاعرنا في مدح أبيه
المعز فلم يقدم له بدواعي اللهو والقصف على
عادته ، ولعله نُبِّه أو تنبَّه الى ما في ذلك من
مجافة لمقامات الامام ...

وعلى الرغم مما مُنى به الشاعر تميم من
صرفه عن ولاية العهد التي كانت ستفضى به الى
الخلافة يوماً ما ، وعلى الرغم من أن أخاه نزاراً
الملقب بالعزيز قد حل محله في كرسى الخلافة
الفاطمية ، فان شاعرنا لم يحقد يوماً على أبيه
المعز ، ولا على أخيه العزيز ، بل كانت العلاقة
بينه وبينهما على أحسن ما يكون ، على الرغم
من سوء رأي أبيه فيه .. فهو كثير الاحترام
لوالده ، مقر بالطاعة له ، وهو يبذل له من نفسه
الكثير ، وهو يشكو اذا أحس والده المعز بألم ،
كأنه هو المصاب بالداء دونه ، فتارة يكتب الى
أبيه المعز مُسَلِّماً مُشْتاقاً فيقول :

كتبت ولو قدرت بقدر شوقي
لأفنيست القسراطس والمداد

ولكنى اقتصرت على سلام
يذكرك الولاية والودادا ...

وتارة يقول له وقد شكا ألماً :

نفسى أحق بشدة الوجـد
أبدأ وأنت أحق بالمجد
الله يعلم والمعز مصدقى
لو كان يمكن دفع ما يردى
لجعلت نفسى جنة عن نفسه
ووقيته صرف المنى وحدى
وبذلت ما عندى له من حجة
وأن احتقرت له الذى عندى

ولما شكا المعز لدين الله علته الأولى بمصر
بعد أن قدمها من المغرب ، كان شاعرنا بعيداً
عن مصر ، فلما بلغه النبأ قلق على أبيه وكتب
إليه قصيدة يقول فيها :

لا نالك السقم المحذور ان وردا
وعشتَ فينا عزيزاً سالماً أبدا
الله يعلم أنى مذ سمعت بما
دهاك ، عاود قلبى الشجوة والكمد
يا ليت ما يعتريه بى فأنقذه
أوليتنى واجد كل الذى وجدا

أوليتَ كلَّ سرور يستبد به
دونى ، واغمدو له مما يهم فدا

على أن الوالد المعز كان كثير البر بولده ،
شديد العطف عليه ، ويظهر أنه كان يُحبه حُبّاً
جماً على الرغم من الخطّة التي اختطها لنفسه
بلهوه ومجونه . وقد أهدى مرة فرساً الى شاعرنا
فنظم الشاعر قصيدة يشكر فيها والده بهذه
المناسبة .

ولم يحمل شاعرنا لأخيه العزيز حقداً أو
حسداً على أن الخلافة صارت اليه دونه ، بل ظل
يسانده ويناصره ويرفع من روحه فى غاراته .
فحين ظفر العزيز بأبى تغلب بن حمدان
ابن ناصر الدولة ملك الموصل وديار ربيعة ،
وكان قد خرج على الفاطميين ، نظم شاعرنا
قصيدة يهنئ بها أخاه العزيز ويمدحه قائلاً :

قل لأبى المنصور يا خيرَ مَنْ
أقام أو حثَّ لمجد ركاب
ويا اماماً قابلت ملكك
لوائجُ الأقبال من كل باب

خَوْلَكَ الْقُدْرَةَ وَالنَّصْرَ مَنْ
 حَبَاكَ بِالْحُسْكِمْ وَفَصَلَ الْخُطَابَ
 اِنْ اِبْنَ حَمْدَانَ عَدَا رُشْدَهُ
 وَرَامَ اَنْ يَظْفَرَ جَهْلًا فُغَابَ
 ظَنُّ الَّذِي اخْلَفَهُ ظَنُّهُ
 فِيهَا ، وَخَالَ الْمَاءَ لَمَعَ السَّرَابُ
 فَيَا اَبَا تَغْلِبَ سُوَّتَ الْمُنَى
 وَمَتَّ بِالْتَهْدِيدِ قَبْلَ الضَّرَابِ
 كَيْفَ يَلْقَى الْأَسَدَ مِنْكَ امْرُؤُ
 قَدْ فَرَّ مِنْ أَدْنَى تَبَاحِ الْكَلَابِ ؟
 حَارِبْتَ بِالْبَغْيِ اِمَامَ الْهَدْيِ
 وَلَمْ تَهَبْ مِنْهُ عَزِيزًا يَنْهَابِ

وَحِينَ انْتَصَرَ الْعَزِيزُ بِاللَّهِ عَلَى الْخَارِجِينَ عَلَى
 الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ بِالشَّامِ ، نَظَّمَ أَخُوهُ شَاعِرُنَا تَمِيمٌ
 أَبْيَاتًا فِي مَدْحِهِ يَقُولُ فِيهَا :

هَنَّاكَ خَلِيفَةَ اللَّهِ السَّرُورِ
 وَمَا جَاءَتْ إِلَيْكَ بِهِ الدُّهُورُ
 وَفَتَحَ جَلَّ مَوْقِعُهُ إِلَى أَنْ
 تَعَاظَمَ أَنْ يَقَاسَ بِهِ نَظِيرُ
 غَدَّتْ تَرْكُ الْعِرَاقَ لِسَدِيهِ أَسْرَى
 وَدَلَمَهَا بِعَفْسُوكَ تَسْتَجِيرُ

وقد طارت قلوبهم خفوقا
 الى أن لم تحصنها الصدور
 اثرتَ عليهم بالشام حرباً
 تضععَ بالعراق لها السرير'
 ودان بها لك العاصي ، والقت
 ازمتها لكفيك الأمور'

وكان العزيز دائم الأفضال على أخيه الشاعر
 تميم بن المعز ، كثير الصلة به والتفقد والرعاية
 له ، فلم يكن في منعزله بالقصر والبساتين بعيداً
 عن ندى أخيه العزيز وعنايته . وكان في شاعرنا
 وفاء وعرفان حتماً عليه أن يعترف بأفضال
 أخيه عليه في كل مناسبة تخطر له ، فتارة يقول
 له :

كفأك كف تنهمى بالثواب
 عفواً ، وكف تنهمى بالعقاب
 كم من يد أوليتني جمّة
 آبت بنعمها تحير المآب
 ما زلت تدنيني وتغلي يدي
 فعل كريم الأصل ، حرّ النصاب
 فرحت من نعمك بادي الفنى
 متمم الأمال حجب الجنب

والله ما في جَسَدِي شِعرَة
الا وشُكْرِي لك فيها سِغَاب

وأخرى يقول من تهنئة له بالعيد :

أطابَ لي العيشَ أني منك منتَصِر
بأنصرِ الناسَ للقُربى والنسبِ
وأكثرِ الناسَ ذِبًّا عن ذوى رحم
وأعلمِ الناسَ بالتفضيل والأدبِ
وأننا غُصْنَا قَرعَ يضمهما
الى أواصر جَد واحد وأبِ
فمن عَلاك معاليّ التي شَرَفَت
ومن أياديك ما أحوى من النشبِ

وثالثة يقول له :

أنت صيَّرتَ لي بنعماك في كلِّ
صباح من المكارم عيدا
لا أقِرَّ إلا له عينا لشاينِ
كَ وأعطاك في البقاء خلودا

ورابعة يهنئه بعيد الفطر سنة ٣٦٨ هـ ،

فيقول :

بلغتْ بك الحال التي كنت أرتجى
علاها ، فعالي غبطة وسرور

وماليَ لا أحوى بك العزَّ والمنى
وانت على كل الأمور قدير
وكيف أخاف الحاسدين وبغيهم
وانت عليهم لى يد وأمير
كلانا لأصل واحد ، ولوالد
إذا ما دعانا الانتساب نصير

وحين يَعدُ الخليفة « العزيز » أخاه « تميماً »
بشيء ثم لا تمكنه الظروف من القيام به ، فإن
شاعرنا لا ييأس ثقة من أخيه ، وقدرته على
الوفاء ، بل يسترضيه بكل وسيلة ، ويذكره
بسالف وعده كقوله :

ولم ترضَ نفسى أن تذُل وتغتذى
لفيرك أذ لا من سواك كثير
فما بال' وعدى لم يتمَّ ، وما له
تلوح عليه كآبة وفتور ؟
تأتيته' شهراً أرجى قضاءه
وشهر رهين الانتظار شهور'
أرجع من يرجوك للدهر صاغراً
وانتَ على كل الأمور قدير
وكيف يخيب المرتجى منك نائلاً
وطائره بالسعد ظلّ يطير ؟

والحق أن رعاية العزيز لشاعرنا تميم كانت
موصولة لا تنقطع الا لعذرقاهر ، فلم يقصر عن
امداده بكل ما يمد له أسباب الحياة الهائلة . وقد
تطول العزيز مرة بالفضل على أخيه تميم فبنى
له مجلساً للهوه ... ولعله أراد بذلك أن يمدَّ
له في أسباب الانشغال عن الخلافة والانصراف عنها
مطلقاً ... ! ولكنه - على كل حال - كرم ورعاية
لم يسع شاعرنا الا أن يقول فيهما :

أَنعِمِ مِنَ الْعِيشِ بِمَا تَشْتَهِي
وَاطْرَبْ ، وَدَعِ مَنْ لَامَ أَوْ فَتَدَا
... فِي مَجْلَسِ أَسْتَسْ بَنِيَانِهِ
بِالطَّائِرِ السَّعْدِ ، وَرَغَمِ الْعَدَا
وَكَيْفَ لَا يُشْرِقُ حُسْنًا ، وَقَدْ
شَهِدَهُ رَأْيَ أَمَامِ الْهَدَى
الْمَلْبَسِي النَّعْمَى الَّتِي صَبَّرَتْ
أَدَانِيَ اللَّحْمَةِ لِي حُشْدَا

وقد بلغ من توالي انعام الخليفة العزيز على
أخيه الشاعر تميم أن صاحبنا كاد يحصر ويعيا
عن شكر أخيه ، وكاد يدركه الافحام من لطائف
بره به ، حتى عَبَّرَ عن ذلك بقوله :

أفعمتني بلطف البر منك فما
 أدري بأي مكافاة أكافيك ؟
 حارت براعة فهمي فيك فانحصرت
 عن وصف معنى وحيد من معانيك
 ماذا أعددُه حتى أقوم به
 شكراً ، وأذكره حتى أوفيك ؟
 اشراق وجهك لي ؟ أم حسن فعلك بي ؟
 أم انبساطك نغوى أم إياديك ؟
 الله ' جازيك عنى يا خليفته '
 جزاءً مقتدر ، والله راعيك

ولم تكن علاقات شاعرنا مع قرابته وأهل
 بيته الا علاقة الرجل الودود الألف المتبسط في
 السلوك في صفاء ومحبة . فقد كان يوماً في
 بستان بولاق ، فأرسل الى عمه (حيدرة) أخى
 الخليفة المعز ، تَفاحاً وَلَيَموناً وورداً وأترجا
 وغيره من أنواع الزهر ، وسأله أن يقوم عنه
 بإيصال ذلك الى الخليفة العزيز بالله ، وكتب له
 مع هذا أبياتاً رقيقة يقول فيها :

يا عم ! لا زلتَ في النعماء محبوباً
 سامى المحل ، قريرَ العين ، مسروراً

أبلغ - فديتك - مولانا وسيدنا
ومن غدا أمرا والدهر مأمورا
وقل له ظفرت كفأك واعترضت
لك السعود ، ولا لاقيت تكديرا

ولعل أجمل ما في خلال شاعرنا تميم من البر
بأهله أنه كان يحفظ غيبتهم ، ويحترم شهودهم ،
ويدافع عنهم قدر استطاعته ، ولا يُطيق أن
يسمع يوماً نقيصة فيهم . ومما يؤيد هذا أنه
كان جالسا يوماً في مجلس ، فذكر بعض قرابته
بنقص في حضرته وعلى مسمع منه ، فما كان منه
الا أن نصر قريبه على علاته قائلا :

فان يك كوكبه مظلماً
فإني لظلمته واقف
وان يك درهمه زائفاً
فإني لزائفه ناقد

وهكذا يكون البر بالأهل ، والانتصار لهم ،
ولو كانت كواكبهم مظلمة ، ودراهمهم زائفة ،
وعيوبهم سافرة ...

تميم الشاعر ولسلو

لا شك أن الشاعر تميم بن المعز شاعر مصرى متميز فى أوائل العصر الفاطمى . ولا يستطيع مؤرخ للأدب العربى والشعر فى الدولة الفاطمية أن يُففل أو يسقط من حسابه هذا الشاعر الذى وُلِدَ بالمغرب وعاش فيه حتى أوفى على العشرين أو فوقها بقليل ، ثم شاءت الأقدار أن تُنزله (مصر) بعد أن تم فتحها على يد والده الخليفة المعز ، بالجيش الذى سيره وعلى رأسه القائد جوهر الصقلى . وقد دخل المعز مصر سنة ٣٦٢هـ بعد أن فتحها جوهر سنة ٣٥٨هـ ، ومعه أبناؤه وأُخوته وأهل بيته الفاطمى وجثث أسلافه . وكان شاعرنا فىمن دخلوا مصر وحُسبوا فى حساب شعرائها منذ ذلك الحين .

ولقد تنبه الى قيمة الشاعر « تميم بن المعز » وشاعريته كثير من المؤرخين والأدباء القدامى ،

وكان شعره يتغنى به في مصر في عصره وبعد عصره ، لرقته ولما فيه من غزل تنبسط اليه النفوس . وقد شهد له (بالشاعرية الحسنة) اثنان من المؤرخين الأدباء ، وهما ابن خلكان ، وابن الجوزي . وعلى الرغم من ضياع أخباره ، سجل له بعض الأدباء قصائد ومقطعات مختلفة كالثعالبي ، وابن خلكان ، وابن سعيد المغربي ، والامام السيوطي .

ولولا أن ديوان تميم ظل مفقوداً زماناً طويلاً لانعقد له من الشهرة ، وحصل من المعرفة به والتعرف اليه أكثر مما ناله بكثير . ولعل لنسبه الفاطمي دخلاً في هذا ، فالفاطميون كانوا لغرابة مذهبهم الديني وعقائدهم سبباً في انصراف المصريين عنهم ، وما كادت تسقط دولتهم حتى عاد الى مصر وجهها السنّي المألوف ..

ومهما يكن من أمر فقد امتاز الشاعر تميم بتمكنه من الشعر وقدرته عليه ، وطول نفسه فيه . فمدحته الأولى لأخيه العزيز في الديوان

تبلغ ٧٥ بيتاً ، وثانى قصائد الديوان في
الطَّرْد ، ومدح العزيز تبلغ ثمانين بيتاً .

وقد نظم شاعرنا من كل بحر ، وعلى كل وزن
من الأوزان المألوفة . ونظم من البحور كاملة
ومجزوءة ، ونظم قوافيه ورويه على كل حروف
الهجاء ما عدا الثاء الفوقية المثلثة ، والذال
المعجمة ، والغين المعجمة .

وكانت القافية سهلة منقادة له ، فلا يجتلبها
بقوة ، ولا يُنزلها غير منازلها ، ولا تشعر أن
قوافيه قلقة أو في غير موضعها . وهذه مواتاة
في النظم تدل على مواتاة في الطبع .

وقد أثر النظم على (الرجز) ، وخاصة حين
كان يقول في شعر الصيد والطَّرْد . وأراجيزه
إمّا كاملة أو مجزوءة . ومن مجزوء رجزه
ما خاطب به صديقه ابن الرسّي .

ومن أراجيزه الطردية أرجوزته التي يقول في
مطلعها :

قد أغتدى والليل في دجاء
والصبح لم ينهض به سناء

وأرجوزته الهمزية التي يمدح فيها أخاه
العزیز ويفتتحها بالطَّرْدَ قائلًا :

ومهممه مشتبته الأرجاء
جهم الفيافي ، منحش البهائم

وأرجوزته الدالية التي يقول في مطلعها :
وصامت الجو بعيد الفرقد
مشتبه الأعلام جهم المشهد

وأرجوزته الرائية التي يمدح فيها أخاه
العزیز ، ومطلعها :

ربيع لأسماء بربيع دار
بين نقا الصمَّان فالضُّمَّار

ويلاحظ أنه سلك في أراجيزه مسلك الاغراب
في اللفظ كما كان يفعل الشعراء من قبله في
رجز الطَّرْدَ ، وذلك كقوله في هذه الرائية المشار
اليها :

تَابَّتْ الا مِنْ الْاِقْفَارِ
 وَمِنْ شَجِيجٍ فِي الثَّرَى مَوَارِ
 وَشَطْرِ نَوَى دَارِ الْاَثَارِ
 كَانَهُ مَقْسَمِ السَّوَارِ
 اخْنِي عَلَيْهَا كُلْ غَاد سَارِ
 دَانِي الرِّبَابِ ، شَاسِعِ الْاَقْطَارِ
 وَاهِي الْكُلَى ، مَنفَتِقِ الْاَزْدَارِ
 كَانْ لَمَعَ بَرْقِهِ الْمَثَارِ
 يَفْتَرُّ عَنْ مِثْلِ اَوَارِ النَّارِ

أما ألفاظه في شعره غير الرجز فهي سهلة
 سمحة ليست غريبة ولا جافية ولا جاسية . ومن
 هنا كان في شعره تلك الرقة التي جعلته صالحاً
 للفناء .

وإذا كان في ألفاظ شاعرنا رقة ، فان تعابيره
 في جملتها رقيقة كذلك . وكأن مصر خلعت عليه
 من سهولتها ورقتها ما بان على شعره . وما أرق
 « تميماً » وهو يقول :

صُنْتُكَ فِي لِحْظِي يَا مَنْ غَدَتْ
 تَكَادُ مِنْ رَقَّتِهَا تَجْرِي !

أو يقول متغزلاً :

يا غزالاً اذا شكوت اليه تصلفاً
واذا رمت وصلته صدّ عنى وسوّفاً
وهو من بعد ذا يسـُـلّ بعينه مرهفاً
ليته جاد لي الفداة بوعد وأخلفاً !

ولقد بلغ من تمكّن شاعرنا في الشعر أنه
كان يرتجل أحياناً في بعض المناسبات العارضة
التي لم يستعد لها ، فيأتى ارتجاله وبديهته مثل
إعداده ، مما يدل على مطاوعة المعانى والألفاظ
له ، وعدم معاصاتها اياه . ومن ارتجالاته
اللطاف أبياته التي هنا بها أخاه «العزیز» بقصر
ابتناه ، ومطلعها :

نجوم سعودك لا تفتري' وآيات فضلك لا تنكر'
وفي كل ما أنت فعّالُه لك المعجزات التي تبهر'
فمجدك ما فوقه مصعد وقصرك ما بعده منظر'

واذا كان شاعر عباسي كابن المعتز يميل الى
التشبيهات ، ويُغرب فيها ويحسن وكأنه يستمدّها
من بيئته ومواعين بيته ، فان شاعرنا تميماً كان
كذلك مولعاً بكثرة التشبيهات ، وهى ظاهرة

نلاحظها في شعر ابن وكيع التنيسي ، والشريف
العقيلي ، وظافر الحداد ، من شعراء العصر
الفاطمي ، أو من شعراء مصر الفاطمية ، ولقد
أكثر تميم من التشبيهات ، واستعمل للتشبيه
كل أداة ممكنة ، كالكاف ، أو مثل ، أو كأن ،
أو يشبه ، أو تحسبه . كما استعمل التشبيه
البليغ بحذف أداة التشبيه ووجه الشبه ، وإبقاء
المشبه والمشبّه به ، ومن تشبيهاته قوله في
البدر :

والبدر منتصب ما بين أنجمه
كانه ملك في وسط موكبه

وقوله في مدح العزيز :

كان ملوك الأرض في الأرض ظلمة
وأنت على الآفاق ضوء نهار

وبلغ من غرام شاعرنا تميم بالتشبيه أنه
كان يلجأ إلى توالي التشبيهات للمشبّه الواحد في
البيت الواحد ، كقوله في مدح العزيز :

أنت ليث ، وأنت بعسر ، وغيث
وسحاب جزل ، وشمس ، وبدر

فهنا ستة تشبيهات لمشبه واحد .

ويحفل شعر تميم بظاهرتين اثنتين هما من
أثر البيئة الفاطمية التي دخلت الى مصر
بمعتقداتها ومذاهبها ، والبيئة المصرية التي
انتقل اليها شاعرنا بعد فتح مصر بأربع سنين .
فقد أدخل في شعره كثيراً من عقائد النحلة
الفاطمية وتصوراتها كقوله في مدح العزيز :

انما أنت (حجة الله) لاحت
في البرايا ، ووارث الأنبياء

وقوله في مدح والده المعز لدين الله الذي
فتحت مصر في عهده :

ليهنك أن الله فوقك مالك
ودونك كل المالكين عبيد

أما البيئة المصرية فقد صورها تميم من نواح
كثيرة تركت في شعره ملامح من مصر الخالدة ،
فهو لا ينسى يصف النيل ، وبركة الحبش ، وعين

شمس ، ودير القصير ، وبلبيس . كما يصف
بعض الأعياد والمواسم المصرية الخاصة . كليلة
« غطاس النصارى » .

وقد تسرب الى أسلوب تميم بن المعز الشعري
بعض الهنوات التي لم يكن منها بُد ، لبدء
دخول الفساد على اللغة والنحو من جهة ،
وللتهاون الذى لم يعصم شاعرنا من الخطأ من
جهة ثانية ، ولعدم اتاحة الثقافة اللغوية
الصحيحة له من جهة ثالثة ..

فنراه تارة يقصر المدود ويمد المقصور
لضرورة شعرية ، وقد يكون هذا مقبولا مستساغاً
لو اعتدل في استعماله ، أما الافراط فيه فذلك
مما يعيب جمال شعره . ونراه تارة أخرى يلجأ
الى لغة (أكلونى البراغيث) وهى لغة ضعيفة
رديئة . وقد كان له عن استعمالها مندوحة لو
تحرى وقصد الاستعمال الأعلى ، ولكنه تهاون
وأسرف فى ذلك اسرافاً شديداً ، كقوله :

نظمتها للهْدَى وَلَبَّتْهُ
وان سَخَطَن الكواعب العرب

بدلا من : وان سخط الكواعب . وكقوله :
وَقَرَعَ « يَزِيد » بالقُضيب لِسْنَهُ
لقد مَجَسَّوْا أَهْلَ الشَّامِ وهادوا

بدلا من : لقد مَجَسَّ أَهْلَ الشَّامِ . وكقوله :
لَوْ تَأَمَّلْتَنِي الْعَيْبُونَ لِأَجْرِي
لَحَظَهَا رَقَّةٌ مَعَ الْمَاءِ جِلْدِي

ونراه مرة ثانية يقطع همزة الوصل ، ويصل
همزة القطع لضرورة شعرية ، كقوله :
أَحْصَى أَيَادِيهِ وَمِنْ بَعْضِهَا أَنَا
أَمْ أَنْعَتِ جِدْوَاهُ وَمِنْ بَعْضِهَا قَدْرِي

وكقوله في مطلع قصيدة يخاطب فيها العزيز:
يَا يَوْمَا اسْعَفْنَا بِكُلِّ سُرُورٍ
طَبِيبَا ، فَتَلْنَا مِنْهُ كُلَّ حَبُورٍ

ونراه رابعة يستعمل لفظة (الرؤيا) خطأ
بمعنى الابصار ، وهي لا تستعمل الا لما يرى
في الحُلُمِ والمنام ، أما للابصار فتستعمل لفظة
(الرؤية) .

ونراه خامسة يحذف المشبه الموصوف اكتفاء
بفهمه من السياق ، وهى ظاهرة تلوح بكثرة فى
شعره ، كقوله :

تفتّر عن كاللؤلؤ المنضّد
صيغ لها من عَسَل مجمّد

وكقوله :

تفتّر عن كالجمان منتظم
يصافح اللثم بارداً ، خصرأ

وكقوله :

وهبك سَفرت عن كالصبح حُسنا
فكيف بِسَمَتَ عن كالأقحوان ؟

وأصل الكلام فى هذا : تفتّر عن ثغر أو أسنان
كاللؤلؤ أو كالجمان . وهبك سَفرت عن وجه
كالصبح ، فكيف بِسَمَتَ عن ثغر كالأقحوان .

ونراه مرة سادسة يحذف (أن) بعد الظرف :
(قبل) كقوله :

ويمنعنى الشكوى الى الله علمه
بجملة ما ألقاه قبل القول

أى (قبل أن أقول) . وكقوله من مدحه لأخيه
العزیز :

لا أدعى الفضل قبل يشهد لى
به أدانى الدنى وأقصاها

أى : (قبل أن يشهد لى به ..) . والأولى أن
تذكر (أن) بعد الظرف .

ونراه سابعة يفصل بين أداة الجزم « لم » وبين
فعلها بفواصل آخر غير الفعل ، مع أن المعهود فى
أساليب الفصاح هو معاقبة الفعل للظرف « لم »
مباشرة . وهذا يبدو غريباً ، كقوله :

وانت السيف لا يفرى
إذا ما لم - به - يفرى

وقد أغرم شاعرنا فى بعض شعره بنوع من
البديع فشافى العصور المتأخرة عن عصره ،
ومنه قوله :

يداه ثم وجنته وقلبى
شهاب ، فى شهاب ، فى شهاب

عداوتهم ، وعدلهم جميعاً
سراب ، فى سراب ، فى سراب
بنفسجها ، ونرجسها ، وورد
خضاب ، فى خضاب ، فى خضاب

وهذا وأشباهه وغيره هو من الصناعات اللفظية
المتكلفة ، التى بدأ بها تميم بن المعز فى العصر
الفاطمى ، ثم أخذت تشيع على توالى العصور
قراءة تسعمائة عام، الى أن تخلص منها بحمد الله
عصرنا الحاضر تخلصاً بلا عودة ولا رجوع ..

الأغراض من الشعر الجاهلي

لقد نظم تميم بن المعز الشعر في الأغراض القديمة الموروثة المتعارفة بين الشعراء ، ولم يترك غرضاً من تلك الأغراض إلا عالجها ونظم فيه ، ونستطيع أن نقول أنه كان نموذجاً مكرراً لمن سبقه من الشعراء .

أما مطالع قصائده فلم يستهلها بالوقوف على الأطلال ، لأنه لم يعد هناك أطلال يوقف عليها ، ويُبكي على دمنها ، ولكنه استهلها بالغزل الذي يتوصل به الى غرضه الرئيسي من القصيدة .

ولا نجد شاعرنا تميماً قد فاته غرض من الأغراض الشعرية التي كانت سائدة في عصره ، وإن كان قدر كل غرض يختلف بحسب أهميته لديه ، ومعالجته له . فنجدته قال في المدح والهجاء والتهنئة والرثاء والعزاء والغزل والوصف

والشكوى والاعتذار والعتاب والفخر ، بل نجده
نظم في الزهد والموعظة والحكمة .

وليس الزهد والموعظة غريبين من شعراء
اللهو والغزل ، بل يبدو أن الزهادة ملازمة
لهؤلاء الشعراء في حال التناول أو في حال التوبة
على حد سواء . ولعلها بالطبع احساس منهم
بالاثم ، وتكفير عن الذنب .

وسنتناول في هذا الفصل الأغراض التي نظم
فيها « تميم بن المعز » غرضاً غرضاً ، متتبعين
تطورات ذلك الغرض وملايساته واتجاهاته ،
كالمدح مثلاً ، فانا سنتعقب رأيه في شعر المديح ،
وَمَنْ الذين مدحهم ، وهل كان يمدح مستجدياً
أم مستغنياً ؟ وهل كان يمدح للمناسبات
العارضة ، والظروف الطارئة أم يمدح بلا
مناسبة ؟ وهل كانت مدائحه أصيلة أم عارضة
في غير معرضها الأصلي ؟ وهل كان يدخل على
المدح مباشرة في مطلع القصيدة أم يتوصل اليه
بما كان يتوصل اليه الشعراء من غزل وغيره .

وكذلك سنفعل في بقية الأغراض التي عالجها تميم
مع الاستشهاد الحاضر الذي يؤكد القضية .

المدح

نلاحظ في شعر المديح عند شاعرنا تميم أنه
لم يرسله لكل انسان ، ولم يطلقه لكل ممدوح .
وديوانه الضخم بين أيدينا يؤكد أن مدائحه لم
تعدْ شخصين اثنين ، هما أبوه الخليفة الفاطمي
المعز لدين الله ، وأخوه الخليفة العزيز . وهي
مدائح أصلية بالمعنى المفهوم من شعر المديح .
أما شعره الذي فيه تقدير واعلاء للرؤسّيين
الطالبين وعلى رأسهم الحسن بن ابراهيم الرّسّبي
صديقه وصفيه ونديمه ، فهو لون من شعر
الأخوانيات ، ولا يُعدُّ مدحاً بالمعنى المفهوم .

وبالطبع لم يكن مقام الشاعر تميم بن المعز ،
وموضعه من البيت الفاطمي ، ومكانه من
الخليفتين المعز لدين الله ، والعزيز - لم يكن
ذلك ليسمح له أن يمدح انساناً غيرهما مهما كان

قدره . ولعل احساساً بالاستعلاء يملئ على شاعرنا أن لا يتوجه لغير والده وأخيه بالمدائح . والمدائح في أغلبها مظنة الفائدة التي تعود على المادح من الممدوح . وشاعرنا « تميم » لا يرجو فائدة ، ولا يلتمس نفعاً ولا جدوى من انسان ، لذلك ظلت مدائحه محصورة في نطاق والده المعز ، وأخيه العزيز ، كما ظلت تقديراته الأخلاقية محصورة في نطاق الحسن بن ابراهيم الرسبي ، وهو من أشراف العلويين ؛ فاذا مدح مدح اخاء فلا ينقص ذلك من قدر مادحه شيئاً .

والرسيون - بهذه المناسبة - من نسل الحسن بن علي بن أبي طالب ، فهم يلتقون مع الشاعر تميم بن المعز في أكثر من ملتحى . ونسبتهم الى الرسر ، وهو جبل بين اليمن وعمان . وقد سكن جماعة منهم بمصر ، وكان منهم الشاعر الحسن الرسبي الذي كان يتقارض الأشعار مع شاعرنا تميم .

وشاعرنا تميم يوقن بأن المديح هو أغلى ما يقدمه الشاعر ، وأبقاه على الدهر ، وكل ما عداه - مما يقدم الى الغير - من الهوالك الفانية . ولهذا كان من سنته اذا أرسل هدية لأبيه أو لأخيه قدم بين يديها بالشعر ، لأن الشعر هو أغلى الهدايا . ويعبر عن هذا بقوله من قصيدة يهنئ بها أخاه العزيز بسلامته من انقصد ، وقد بعث مع التهنئة الشعرية هدية مادية .

بعثت ' بمدحى قبل كل هدية
لأنى له - دون الهدية - مالك
ولا شيء غير المدح يبقى لأنه
مقيم جديد ، والهدايا هوالك

ويتقصى شاعرنا في ممدوحه كل الصفات الطيبة ، والخلال الكريمة التى امتاز بها . فأبوه المعز - مثلاً - ملك قرم سبقت اليه عوارفه ، لم يقصر عن كسب المحامد ولو كانت بين أنياب الأُسود ، ويعلم الأمور قبل كونها - أمّا الهاماً أو بصيرة - وهو يُتلف المال بالعطاء ، فليس

بينه وبين المال ذمام ، وسحائب معروفه تهمل
بلا وعد ولا وعيد ، وهكذا يمضى فى مدحته
للمعز التى مطلعها :

يَعْدُ وَجِيعَ الْوَجْدِ مَا هَيَّجَ الْبَعْدُ
وَأَوْجَعَ مِنْهُ قَرَبُ مَنْ قَرَبَهُ الصَّدُ

وفى مدائح شاعرنا تميم نراه يجمع بين
التهنئة والمدح فى المقام الذى يستوجب التهانى .
فاذا هنأ ممدوحه بمناسبة من المناسبات فانه
يحشد لها من المدح ما يستحقه الممدوح . كما
كان يفعل حين يهنئ أخاه العزيز بعيد الفطر ،
أو يهنئه بشهر الصيام ، أو يهنئه بالشفاء من
علة ، أو يهنئه بمولود .

وأغلب مدائح تميم فى أبيه المعز وأخيه
العزيز تستهل دائماً بالغزل تارة ، والخمر تارة ،
وأحياناً يجمع بين الغزل والخمر فى مفتتح قصيدة
المدح ، وينسى - وهو فى نشوة الشراب - أنه
يمدح خليفة فاطمياً له صفته الدينيّة ، وأنّ
هذا الممدوح هو أبوه أو أخوه . ولقد أسرف

شاعرنا فى هذه الخمرىات والغزلىات الاستهلالية ،
وأطال فىها ، وأغرق فى مجونىّاته فىها الى حدّ
يجعلنا نتساءل : أين هبة الخلافة ؟ وأين جلال
المملك ؟ ولكن يبدو أن المجون كان غالباً عليه حتى
فى المقامات التى يتوقّع فىها الوقار . والا فكيف
نفسّر قوله مُتَغَزّلاً وقاصفاً وشارباً فى مدحه
له للعزىز يقول فىها :

يا من تشفى بعذابى به
انى لأستعذب منك العذاب

لو فتشوا جسمى ما أبصروا
غير الألى يسرح بين الثياب

لا زال سقمى وعذابى على
سقم المآقى ، والثنايا العذاب

لا خير فى الحب اذا لم يكن
فى أنفـس' العشاق ماضى الحراب

فى خـد من تيمنى من دـمى
رشح ، وفى كفتيه منه خضاب

كانما الأصباح من وجهه
لاح ، ومن خديه ذاب الشراب

لما تشكيت اليه الهوى
 بالسن السدم رثى واستجاب
 وزارنى تحت رواق الدجى
 والليل فى صبح جناح الغراب
 فبات يعطيني من وصله
 أضعاف ما أعطى من الاجتناب
 اذا سقانى الراح من كفه
 مزجتها لثماً براح الرضاب
 كأنها فى الكأس ما جال فى
 خديه من رقعة ماء الشباب
 حتى تولى الليل فى جيشه
 وحلّ ضوء الصبح عقد النقاب
 كأنما الليل بأصباحه
 كان عذاراً حالكة ثم شاب
 أو كان مثل الجور فى لونه
 فحله عدل (نزار) فغاب
 قل لأبى المنصور يا خير من
 أقام أو حثّ لمجد ركاب
 ويا اماماً قابلت ملكه
 لوائح' الاقبال من كل باب
 خولك القدرة والنصر من
 حباك بالحكم وفصل الخطاب

وهكذا خلص شاعرنا الى مدح أخيه العزيز
نزار أبى المنصور ، بعد أن سلك اليه مسالك مع
المحبيب ، وبعد أن احتسى ما احتسى من كفه
ممزوجاً لثماً بخمر الرضاب !!

وهناك مدائح وتهان من شاعرنا الى ممدوحيه
دخل بها على الغرض مباشرة دون غزل أو
تشبيب ، وما اليهما ، كمدحته لوالده المعز حين
عمل « شمسية » لبيت الله الحرام بمكة ، التى
افتتحها بالمدح مباشرة قائلاً :

إليك مَدَّتْ رِقَابَهَا العربُ
والملك ماءً عليك منسكبُ

وأنت من دوحَةِ النبوة لا
تألف الا عِدَاتِكَ الرِيْبُ

ألست من يَرْهَبُ الإلهَ ، ولا
يَصْدُهُ عَنْ حُدُودِهِ سِبْبُ ؟

وكأبياته الى أخيه العزيز التى بعثها مع سنبلة :

خليفة الله ان الدهر مذ طَلَعَتْ
فيه سَعُودُكَ بادىِ الحُسْنِ محبوبُ

وكقصيدته التي قالها في مدحه ومطلعها :

ولما رأيت الله حضَّ على الشكر
وجازى عليه بالجَزِيل من الأجرِ

وقال : اشكروا لي يا عبادي أزدِكُموا
شكرت أميرَ المؤمنين على برِّى

وكقصيدته التي بعث بها اليه من القاهرة حين
أقام أياماً بسرُدوس . ومطلعها :

لا استوحشت لك أربع وقصور
وأقام ملكك ما أقام ثبيرُ

وكمدحته للمعز لدين الله والده ، التي افتتحها
بقوله :

يا من حوى الفضلَ وحاز الفغرا
وكسف الشمسَ وفاقَ البدرا

العتاب

يشتمل ديوان تميم على بعض أبيات العتاب ،
ولكن العتاب ليس ظاهرة فاشية في شعره . ولعل
مرد ذلك الى سماحة طبعه التي جعلته لا يحاسب

الأصدقاء على هفواتهم وجعلته يتفاضى عن عتابهم . أو لعلنا نضيف الى ذلك سبباً آخر ، وهو أنه كان مقلاً جداً من الأصحاب ، فهو منطو على نفسه وعلى مُتَعِه في قصره وبساتينه ، لا يخالط الناس ، ولا يتلقى منهم ما قد يوحى بعتابه على تصرفاتهم . وأغلب معاتباته وقعت بينه وبين صفيه «الحسين بن ابراهيم الرستى» . وهو عتاب على غير ذنب شديد أو جريرة صارخة . وانما هو عتاب على صديقه الحسين لأنه آخر عنه رسائله ، وقصر في ارسال الرقاع اليه ، وهى مما كان يتعزى به شاعرنا . على أنه في عتابه رقيق مهذب ، لا يُغلظ في القول ، ولا يعنّف في اللوم ، فيقول لصاحبه :

أسهوا يا ابن ابراهيم عنى
فأسهو أم أعاتب أم أراع
ومثلك لا يبيع أخا ببغس
على حال ، ومثلى لا يباع

وهذه القصيدة العتابية تجرى كلها هائلة على نفس هادىء ، وطبع غير محتد ولا مستوفز ،

وغفران للمقصر ، وعدم جنوح الى الانتقام ،
ومقابلة النسيان من صاحبه بالنسيان . وما
أرقّه وهو يقول لصاحبه :

سأذكر ان نسيْتَ قديمَ عهدى
وأُسْهِلَ ان أَلَمَّ بك امتناعُ

وهنا تأس بأداب القرآن ، ودَفَعَ للسيئة بالتى
هى أحسن .

الفخر

تغلب نزعة الفخر عند شاعرنا تميم ، وهو
هذا ليس جارياً على غير ما يستحق ، ولا مغتصباً
ما ليس له . فمكانته من البيت الفاطمي تسمح
له بأن يَفْخَر ويَطِيل الفخر الى أبعد الآماد .

وقد يأتى الفخر فى شعره مباشرة ، فهو
يهيئُ القصيدة كلها للافتخار ، وكأن ذلك هو
مدعاه الأولى ، ولم يَقم فى ذهنه غيره . وتستطيع
أن تميز قصيدة الفخر فى ديوان تميم بالتقديم
لها بمثل هذه العبارة : وقال يفتخر .

وأحياناً يأتى الفخر فى خلال قصائده الأخرى،
وفى عُرْض مدائحه . ففى قصيدة طويلة له فى
مدح العزيز بالله يُعرج على الفخر بنفسه قائلاً :
ولكننى للمجد أرتاح والعللا
وللجود والاعطاء أصبو وأطرب'
وللعلم يومَ البطش منى حميئة
وللحفظ يومَ الغدر فى تفضب'
ومَن بينَ جنبيه كنفى وهمتى
يروح له فوق الكواكب موكب'
ومن أين لا أغدو ولي كل مفخر
يضيق افتخارُ الناس وعنه ويعجب'
ولى من (نزار) لُحمة شد نسجها
(معدن) ويعبوينى وإياه منصب'
وقربى تراضعنا جميعاً لبانها
وصنو اذا عُدَّ الاخاء ومنسب'

واذا كان شاعرنا تميم على حق فى افتخاره
بآبائه وشرف نسبه الفاطمي ، وسيوف أجداده
التي فتحوا بها البلاد ، واذا كان على حق فى فخره
بخلقه وكريم صفاته ، فإننا نراه قد جاوز
الحد فى افتخاره بمضارب سيفه ، مع أن ما وصل
إلينا من أخباره لا يدلُّ على أنه نزل ميداناً ، أو

أمسك سناناً ، الا اذا كانت مغامراته الأولى في
المغرب - قبل مجيئه الى مصر - وميوله مع
الساخطين على أبيه المعز سبباً في استعداده
للافتخار ...

واذا جاز لنا أن نسمع من قميم بن المعز
افتخاره بصبره على الأهوال ، وبأنه لا يفرح اذا
الدهر سرّه ، ولا يعتب اذا أساء اليه ، وبأنه
جواد معطاء بذّال للأموال ، وبأنه حلیم في
حميّة ، وهازل في وقار ، فما بالنّا نسمع منه
في فخره أنه أخو السيف ، ورفيق النصل ،
وشقيق الرمح ، وفارس الغمرات ؟ وما بالنّا
نسمع منه يقول مفتخراً :

ألقى الكميّ ولا أهاب لقاءه
ويقلّ أقدامي شبا الحدثان
وأكرّ في صدر الخميس معانقا
للموت حين يفرّ كلّ جبان
ويزيدي ذلّ الغطوب تعظّما
وتسلّط الأيام عزّ مكان
وما بالنّا نسمع منه وهو يقول في وصف فلاة :

قطعتُـه' يقظانَ لم أستنجدِ
الا بمَـتنِ الصَّـارمِ المهتدِ

وما باله يقول في احدى غزلياته :

ولما هزرتُ السيف ثم اشتملته
على ذابل آضنى من الصبِّ في الصدِّ
لحتنى وقالت : لم تشبَّهتَ ظالمًا
بلعظى ، وقدئى ؟ قلَّ هذا وما يجدى

وما باله يقول في مدحة له لأخيه العزيز :

اذا قلتُ لم أعدُ فصلَ الخطاب
وان صلتُ أيقظتُ عين الردى
ولم أرمِ سهمي الا أصبتُ
ولم أدعُ بالدهر الا احتذى
ولا أشرب المباء الا دماء
اذا عرّضت لي طـرقُ الاذى

وما باله يقول في أبيات له في الفخر :

تركنا النعيمَ لأهل النعيم
وجئنا العناءَ لكى نستريحا
ونطردُ بالعز ذلَّ الغمـول
ونشربُ ماءَ المعالى صَبوحا
رؤوس الرماح ، وحدَّ السيوف
يقودان للطالـبين الفتوحا

وما باله يقول مفتخراً :

انما السيد المعلى المفسدى
مَنْ عَلاَ لِلْعَلاَ صُدُورَ الرِّمَاحِ
وَرَمَى لَيْلَ كُلِّ خُطْبٍ بِهِمِ
بِذَكَاءِ أَضْوَا مِنْ الْمَصْبَاحِ
وَاقْتَنَى الْعِزَّ بِالطُّبَا وَالْعَوَالِ
وَاشْتَرَى الْحَمْدَ بِالنَّدَى وَالسَّمَاحِ

والأ فآين هذه السيوف والنصال ، وهذه
الطبأ والرماح التى خاض بها شاعرنا الأهوال ؟
نحن نعرف أن القرامطة دخلوا مصر بقصد
انتزاعها من يد الفاطميين سنة ٣٦٣هـ ، ونعرف
أن جماعة من أبناء الفاطميين كانوا على رأس
المدافعين عن مصر ، وكان قائد الجيش الفاطمي
لطررد هؤلاء المغيرين هو الأمير عبد الله - كما
يقول المؤرخ ابن ميسر . ونعلم أن الخليفة المعز
والد شاعرنا قد استمال أحد رؤساء القرامطة
وأحلافهم من البدو بالمال الذى كان زائفاً ...
فردهم على أعقابهم . ولكننا لم نسمع أو نقرأ أن
شاعرنا تميماً اشترك فى معركة ، أو تقلد السيف

في موقعة ، الا ما كان من مشاركته للفتن التي
أقامها الساخطون على أبيه « المعز » في المغرب .
وقد كان واجبه حين قدم الى مصر أن يشترك في
رد المغيرين عنها ، ولكنه كما يقال : (ظلَّ
بمعزل عن كل عمل عام ، بل أهمل اهمالاً شديداً
جعله يسلو عن ذلك باللهو والمجون ..) (١) .

ألا يجوز لنا أن نقول بعد هذا الموقف السلبي
من تميم في المعارك أنه أضاع كثيراً من المشاركات
في الفتوح التي كسبها أخوه العزيز . ففي أيام
العزيز فتحت لمصر حمص ، وحلب ، وحماة ،
وخطب للعزيز في الموصل واليمن . وفي أيام
العزيز قامت حروب بين العرب والروم شارك
فيها الجيش المصري مشاركة فعالة ، ولكننا لم
نسمع لشاعرنا حساً ولا خبراً في هذه الحروب ،
بل سمعنا غزلياته ومجونه يرسلها من خلال
معتكفه في قصره وبستانه ...

(١) ديوان تميم بن المعز - صفحة م من المقدمة .

الحق أن خيال شاعرنا تميم بن المعز في الافتخار بالسيف والرمح وخوض غمرات الوغي كان أكبر جداً من الحقيقة ، والافتخار به المعروف وتاريخ أخيه العزيز وحروبه ليس فيهما ذكر لمشاركة له في المعارك . وكيف يتهاى العاكف على لهوه ومجالس قصفه لحرب ، أو يتعرض لتقلد رمح ، وهو مشغول عن ذلك كله بالمتع التي قد يكون هياها له أخوه لشغله عن الاشتراك في الحياة العامة ، ضماناً للأمن من من ناحيته ...؟

الرشاء

في شاعرنا تميم بن المعز وفاء يلوح لنا من خلال تصرفاته مع الناس ومع الأصدقاء . وإذا كان الرشاء في حد ذاته مظهراً من مظاهر الوفاء للأمم ، فإن شاعرنا تميم يملك من هذا الوفاء قدراً كبيراً . لقد مات أبوه المعز لدين الله فرثاه . ومات أخوه عبد الله ثانياً أبناء المعز فرثاه على الرغم من أنه كان محجوباً عن ولاية

العهد ، فلم يقعد به اليأس من الولاية والأسى عليها عن أن يؤدي واجب الوفاء لأخيه المتوفى . ثم مات أخوه (عقيل) فقام نحوه بواجب رثائه . ولقد كانت مرثيته لعقيل كمرثيته لعبد الله من بحر واحد هو الخفيف ، ومن قافية واحدة هي الرائ . ونلاحظ في المرثيتين أثر المصاب في نفس شاعرنا ، فهو حزين موحش ' مطار ' اللب ، وهو مكدر العيش في المصيبتين اللتين ذكرته بمآسى أجداده وآبائه الفاطميين . وإذا كان أخوه عبد الله قد مات في حياة أبيهم (المعز) ، فان عقيل مات بعد وفاة والدهم ، وكانوا ثلاثة أحدهم الخليفة العزيز . ولا يستطيع شاعرنا البقاء بعد وفاة أبيه وأخيه عقيل فيقول جزعاً :

کیف یبقی امرؤ تولیٰ أبوه
وأخوه ، فجعلہ مبتور؟

وتثير أحداث الموت في نفس شاعرنا ذكريات الشهداء والموتى من أهل البيت ، كما تثيره المآسى الدامية التي تعرضوا لها ، والفواجع

الأليمة التي نزلت بهم . ففى مرثيته لأخيه عقيل
يعرج على الماضين من آل البيت ويتساءل قائلاً
أين آبائي الذين تفانوا
وبهم كانت الليالى تنير ؟
أين جدى حسين بن علي
أين زيد' المفجع الموتور ؟

ولا تقع لتميم فى ديوانه الضخم ، وبين مرثيه
الكثيرة المطولة ، الا على مقطعة قصيرة فى رثاء
والده المعز تبلغ عدة أبياتها خمسة . ولا ندرى
ان كانت طويلة ولم يقع لناسخ الديوان الا هذه
الأبيات الخمسة ، أم أن الشاعر اكتفى بها فى
مقام لا يجدى فيه طول النوح ولا كثرة البكاء .
ولا ندرى ان كان شاعرنا فى نفسه آثار مما فعله
به أبوه من صرفه عن ولاية العهد الى أخيه
الآخر ، ولكنه على كل حال كان متعلقاً به ، ولم
يقصر عن أن يقول فيه شعراً مؤثراً حين اعتل
علته الأولى وعلته الثانية بمصر التي يقول له
فيها :

لا نالك السَّقمُ المحذور إن وردا
وعشت فينا عزيزاً سالماً أبداً

الله' يعلم أنى مذ سمعت' بما
دهاك عاود قلبى الشجوة والكمد

ولا يقال ان الشاعر هنا كان مجاملا أو كان
يلجأ الى (الرسميات) فى لحظات اعتلال والده .
فلم يكن له مصلحة فى مجاملة . وقد كان يمكنه
أن يلوذ بالصمت المطبق فى هذا المجال ، وليس
عليه من نقد أو ملام .

وإذا كانت مراثى اخوته ووالده تشير فى
نفسه أشجان الفاطميين والطالبين ، فانه فى
أكثر من قصيدة استقل برثاء أهل البيت من غير
أن يكون هناك مقتضى من اثاره بموت قريب أو
حميم . وله دالية قائمة بذاتها فى رثاء أهل البيت
يقول فى مطلعها :

نات بعد ما بان العزاء سعاد
فَحَشَوْ جفون المقتلين سهاد
فليت فؤادى للظعائن مربع
وليت دموعى للغليظ مزاد
نأوا بعد ما ألت مكايدها النوى
وقرت بهم دار ، وصح وداد

وقد بلغ من خلة الوفاء عند شاعرنا أنه كان
يرثى من اتصل به اتصالاً قريباً ، فنراه مرة
يرثى قينة له ، ومرة أخرى يرثى جارية له
توفيت قبل وفاته بشهور ، فيقول :

كانت رضا النفس ونيلاً المنى
ولذة العيش وطيب المدام
ريحان سمعى ، وسنا مقلتي
وسؤل قلبى من جميع الأنام
لهفى على ما فات من قربها
لهفاً له فى كل عضو سقام
لهفى على تلك الطباع التى
قد خلصت من كل عيب وذام
لهفى ! وقلّ اللفف منى لمن
كانت سلوى عند كل اهتمام
لم أدر فى حبى لها ما الأسى
ولا تطعمت أليم الفرام

ويجوز لنا هنا أن نقرن العزاء بالرثاء فهما
من باب واحد ، وهما فى الحادث الواحد : حادث
الموت الذى لا يُرد ، إلا أن الرثاء مدح للميت
واشادة بمحاسنه ، والعزاء تعزية لأهل الميت
وسلوان لهم . ونجد فى شعر تميم بن المعز بعض

قصائد التعزية ، وان كان ذلك قليلا جداً في ديوانه . ولعل أبرز تعازيه وأحقّها بالاشارة اليها هي تعزيتة لصديقه الحسين الرسّبي في وفاة والده أبى ابراهيم اسماعيل بن أحمد الرسّبي ، وكان شاعرنا قد تأخر - لوجع أصابه - عن المشاركة في الصلاة على الفقيد ، فلما عاتبه الحسين' الرسّبي على ذلك الموقف رد عليه شاعرنا يقول :

يا من صفا ودّ صدرى	له وسرّى وجهرى
ومن تكدرّ عندى	لرّزئه صفو' دهرى
ما مات ركنك ، لا ، بل	ركنى ، وفغرى ، وذ'خرى
لو كنت' أملك' عمرى	وهبت' شطر' عمرى
او كنت' أسطيع' دفعاً	عنه بروحى ووفرى
دافعت' عنه المنايا	وكلّ فادح أمر
وقلّ فى واجب الحفـ	ظ عنه دفعى ونصرى
ما كان الاّ يمينى	ومقلّتى ، وآزرى

الغزل

يشكل الغزل - سواء أكان مستقلاً قائماً بذاته أم مفتتحاً للقصائد توصلاً الى أغراض أخرى من القول - قسماً لا بأس به من ديوان تميم بن

المعز . وقد يقال ان قسماً كبيراً من هذا الغزل مصنوع غير مطبوع ، وانه أتى به على سبيل المحاكاة للقدماء . ولكن لا شك أن شاعرنا كان ذا طبع غزل ، ونفس محبة ، وكان يعشق المرأة ، ويهيم بها ، ويعجب بمحاسنها ومفاتن جسدها ، وأنه لم يجد الا الشعر تعبيراً له عن تلك العاطفة .

والمرأة المصونة البخيلة بعواطفها وبنفسها هي أحسن بكثير عند شاعرنا من المرأة الباذلة المعطاء ... لأن المرأة الضنينة لا تسرف في بذل نفسها على حين أن المرأة المعطية غير المتمنعة هي شيء سهل المنال . وقد عبر شاعرنا عن هذه الفكرة بقوله في التغزل في مستهل قصيدة فاخر بها العباسيين :

يُعْجِبُنِي الْبُغْلُ ' اِنْ بَخِلْتَ وَلَا
يُعْجِبُنِي الْجُودُ ' مِنْكَ وَالنَّقْلُ

فشر ما في الرجال 'بغلهمـو
وخير ما في الكواعب البغل

وقد تغزل شاعرنا بالمرأة في كل مكان ... في

البدو والحضر ، وفي الكوخ والقصر ، بل تغزل
بها في الدير ما دامت تقدم له من اللذة كل
ما يحب ... وهو في لقاءاته مع المرأة لا يتورع
أن يصف كل ما دار بينه وبينها .. ففي غزلية
له على شكل أرجوزة مقيدة يقول :

حتى أبيتُ بين غيد نهَّد
أرشحف شهداً كامناً في برْدِ

ملتزماً هيف الخصور الميِّد
ما أنت يا ليلي سوى غُصن ندى

تميس في غصن نقي ملبَّد
وقمر فوق قضيب أملد ..

تفتُّر عن كاللؤلؤ المنضَّد
صيغ لها من عسل مجمدِ

فهو متى همَّ بذبوب يبرد
والثلج لولا برده لم يجمدِ

وفاتر الطرف عليل الموعدِ
أضعف من لحظي بين العوَدِ

يقتلُ من يشا ولكن لا يَدَى
يجور في حكم الهوى ويعتدى

ثم تهدي اليه الحبيبة تفاحة ، فكأنما أرسلت
اليه خدّها بلونه وريق فمه :

لما تشكيت' اليه الهوى
والشوق' نام والجوى زائد
أرسل في تفاحة خدّه'
اليّ كى لا يفتنّ الحاسد
فلونه' في لونها ظاهر
وريقه في طعنها جامد ...

واذا كانت كل امرأة تستهوى شاعرنا تميم
ابن المعز ، فان المرأة ذات البشرة الصفراء
العاجية كانت تستولى أكثر على لبه . وكل الألوان
المألوفة في جسم المرأة حبيبة اليه ، الا (الصفرة)
فانها تولّته :

رأيت في البستان انسانة
صفراء ، للألباب سلاّبه
والفتاة الصفراء التي تعلله في ظلام الليل هي
أشهى الى قلبه :

رُبّ صفراء عللتني بصفرا
ءَ وجنح' الظلام جَوْن' الاِزار

والصفراء من النساء يحسبها محدثها ذهباً
أصفر يكاد يجرى بضاضة :

وضعيفة الألفاظ ساحرة
زادت لواظها على السحر
صفراء يحسبها محدثها
ذهباً يكاد بضاضة يجرى

ولعل أجمل ما في غزل « تميم » الذى يتقدم
به الى أغراضه فى المدح والفخر وغيرها هو ذلك
التخلص الحسن الجميل من الغزل والتشبيب الى
غرضه ، بحيث يحس القارئ أن حبل الكلام
موصول منسجم ، وأنه ليس هناك فجوة فارغة ،
أو هوة سحيقة بين المطلع والمخلص ...

وهل هناك أجمل من هذا التخلص من الغزل
الى مدح والده المعز :

خذى الكأس يا مظلومة الخدّ مترعاً
ومدئى به نحوى بناتاً مغضباً
فانى سبقت' الدهر للمجد والعلا
وسدت' جميع الناس شرقاً ومغرباً
وما ذاك الا أننى بسعادتى
غدوت قريباً من (معد) مقرباً

و « معد » هو والده المعز . ويدخل شاعرنا
الى مدح أبيه هذا المدخل الجميل .

وهل هناق أرقّ من هذا التخلص من الغزل
الى مدح أخيه العزيز :

فللشوق في الأكباد منهن رنة
وللدمع في رمض الخدود سكوب
سيشفين داء البعد بالقرب عاجلا
ويعلمن أننا بالنجاح نؤوب
وأن ظنون الناس افك وباطل
وظنّ أمير المؤمنين مصيب

أو أجمل من هذا التخلص من الغزل الى مدح
أخيه العزيز :

فبتّ أناجى البدر وهو منادى
وأشرب بالثم العقار من الشنّب
الى أن رأيت الصبح يفتك بالدجى
كفتك (أبى المنصور) بالروم والعرب

أو هذا التخلص الحسن من الغزل الى مدح
العزيز :

لا ندّ في الحسن لها مثلما
أنّي في الحب بلا ندّ

لا زالت الجميزة معمورة
بكل مخطوف الحشا نهد !
إني ألد العيش فيها بما
أولى عزيز' السدين من رفد

ولقد أجاز شاعرنا لنفسه - مع الأسف - أن يطلق لنفسه العنان في الإفحاش في الغزل ، عن طريق التصريح بذكر العورات والألفاظ الجنسية المثيرة ، والأعضاء التي نستحي أن نسوق عليها الشواهد في هذا المقام ، ويكفى أن نشير الى صفحات ٢٣ ، ٤٦ ، ٥١ ، ٤٢١ ليرجع اليها طالب المزيد من البحث ، وليرى فيها لونا من الأدب المكشوف ما كنا نتوقعه من أمير من أبناء البيت الفاطمي ...

الوصف

كان للشاعر تميم بن المعز باصرة لا تقع على شيء الا أدركته ونفذت اليه واستمتعت به ، وحس' مرهف يستجيب للعين حين تقع على الأشياء . وكان يصف وصفاً أصيلاً أو عارضاً .

فقد يتصدى من أول الأمر لوصف منظر طبيعي ،
أو مشهد صناعي ، أو آلة ، أو انسان ، أو
حيوان . وقد يأتى الوصف فى شعره عَرَضاً
لا أصالة . فمن أوصافه العارضة ما ذكره فى
أثناء مدحه لأخيه العزيز واستئذانه إياه فى
المسير إليه بالجيزة فى أحد قصوره هناك . وفى
خلال الحديث الى أخيه أخذ يصف الروضة
ونسيمها وجداولها وأزهارها وثمارها ، قائلاً :

فى جنة قد ذلت ثمراتها
وتسربت بغلائل من نور
وجرى النسيم على ثمار غصونها
فتضوعت بالمسك والكافور
ينساب فى الأكفاف منها جدول
كالنصل أو كالحية المذعور
ما بين أترج يلوح ... كأنه
كبرى التندى الصفر فوق صدور
وكان نرجسه اذا استقبلته
يرنو بأفغان العيون الحور
وكانما النارج فى أغصانه
أكر تروى من دم اليعفور

وكانما نشر الربيع ملاحفا
فيها مريشة من المنثور
وكان سوسنها خدود قد بدت
للثم فيها زرقاة التأثير ..

وقد أكثر تميم من وصف الرياض والأزهار
والثمار ، ويشترك معه في هذا شاعران مصريان
آخران قريبان من عهده هما : ابن وكيع
التنيسي ، والشريف العقيلي . وكثيراً ما نجد
الورد والشقائق والنجس والنيلوفر والسوسن
والأترج والموز والخوخ والتفاح متناثراً مبعثراً
في ديوان الشاعر تميم ، فنحس أننا نجوس خلال
روضة أو بستان مزهر . وما مر شاعرنا بروض
الا وقف أمامه أو وقف به ، ووصفه ، وحل فيه :

انظر لتفويف الرياض وحسنها
قد نمّقت يَسْدُ السحاب الممطر
بسط تغالف صبغها ونسجتها
ما بين أصفر كالعقيق وأخضر
يجمعن حسن المنظر الزاهي الذي
راق العيون الى كريم المخبر
فكان نرجسها عيون أبرزت
أجفانها لكنها لم تنظر

وشقائق كَسَتِ الرُّبَى من نسجها
حُللاً كتضريح الخُدود الأحمر
متبرجات ناعمات أكملت
خَفَر الذليل ونخوة المتكبر
وغلائل زرق نُشِنَ كأنها
آثارُ تجميش الصدور النضَّر ..!

ولا مر شاعرنا بناعورة تسقى الرياض
والحقول الا وقف بها ووصفها :

ناعورة انت أنينَ الهوى
لما شكت حَرَّ وساويسها
أنينها صرَّةٌ تدويرها
ودمعها ماءٌ قوايسها
كأنما الكيزانُ في بثرها
همامٌ ملوك في نواويسها
تقذفُ بالماء الى روضةٍ
كأنها ريشُ طواويسها

وقد وصف شاعرنا الليل والصبح في طلوعه
وطرده لجيوش الليل :

وانظر الى الليل كالزنجى منهزماً
والصبح في اثره يعدو بأشبهه

ووصف (القرافة) ، وقد لفَّها الخشوع
والصمت ، ونبه الأذان' فيها النيام ، ووصف
(بركة الحبش) المشهورة التي وصفها شعراء من
أمثال « أبى الصلت أمية بن عبد العزيز
الأندلسى » و « ظافر الحداد » الاسكندري المصري
وغيرهما ، فقال :

كَانَ الْبِرْكَةُ الْغَنَاءُ إِذَا مَا
غَدَّتْ بِالْمَاءِ مُنْعَمَةٌ تَمُوجُ
وَقَدْ لَاحَ الضُّعَى ، مَرَاةٌ قَيْنِ
قَدْ انصَلَّتْ وَمَقْبُضُهَا « الْخَلِيجُ »

وأجاد شاعرنا فى الوصف للأشياء الطبيعية
كصفته (للفرس) وفى باب النماذج شىء منه ،
كما أجاد صفة المرأة . أما صفته للأشياء
المصنوعة فقد أدارها على ما وقعت عليه عيناه
من وصف عود الغناء الذى كان ملازماً له واقعاً
تحت سمعه وبصره ، ووصف الشمعة التى كانت
توقد دائماً على مائدة الشراب ، وتظل صاحبة
بينما ينعس الناس ، ويجلس العبيد وهى قائمة
واقفة لا تجلس ...

وفاتقة ظلمة الحنـديـس
 اذا نـعـسَ النـاسُ لـم تـنـعـسِ
 متـوجـة فـوق يافـوخـها
 بتـاج مـن الـلـهـب المـشـمـسِ
 اذا أوقـدت نـثـرت أدمعـا
 عـلـيـه مـن الـذـهـب الأملـسِ
 وان نـام حـلـأـسـها لـم تـنـم
 وان جـلس العـبـد لـم تجـلسِ
 ولـم أـر أكرـم مـن طـبـعـها
 تجـود عـلى الشـرب بالأنفـس ..

الشكوى

وينـخـيل الـيـنا أن شاعراً أميراً مترفاً كـتـمـيم بن
 المعز لا تجد الشكوى سبيلاً إلى شعره ، ولا مدخلاً
 إلى ديوانه . ولكن من هو الشخص الذى خلا
 من هموم الحياة ، وخلص من آلامها ؟ أليست
 الحالة النفسية لـتـمـيم ، بحرمانه من الخلافة ،
 وصرفه عن ولاية العهد ، سبباً كميناً لشكواه ،
 ولو أنه رضى فى نهاية المطاف بحظه من الحرمان
 وتظاهر بالقناعة والقبول ؟ وهب أنه سكن إلى

حكم الله بحرمانه من الولاية والخلافة ، أفهل
سلم من قريب يحسدُهِ ، أو كاشح يحقد عليه ،
أو عدو يتربص به . والمرء محسود حتى على موته
كما قال شاعر قديم . لهذا لا نعجب اذا سمعنا
« تميماً » يقول :

رضيتُ بحكم سابقة القضاء
وأن أضحت تكدرُ صفو مائي

وهل يستطيع أهلُ الأرض حلاً
لعقد شدَّ من فوق السماء ؟

الى كم تهدم الأحداث ركني
وترميني بجورٍ واعتداءٍ ؟

يعاقبني الزمان بغير ذنب
وتغذّلي يدي وذوو اصطفاي

حياتي بين واش أو حسود
وساعٍ بي يسرُّ بطول دائي

واذا لم يجد شاعرنا شيئاً يشكو منه ، فلا أقل
من أن يشكو فراق أحبابه ، وبُعد أحبّته عنه ،
وهي شكاة تصاحب ما قاله في الدهر من
شكويات :

امرت لي الأيام منذ عرفتُها
 فما في فمى منهنّ الا العلقم'
 جعلتك قلبي خيرَ خِذن وصاحب
 فلا تك ممن يلتوى ويُصارم'
 فما ان رأيت الدهر الا معظماً
 كريمًا يناوى أو ضعيفاً يسالم'
 وما فاتني فيه من المجد والغنى
 فما أنا اذ نلتُ الحِجى فيه نادم'
 وما أن فليتُ الدهر الا لأنه
 لقلبي من بين الأحبة ظالم'
 سقاني من أقبذائه بفراقهم
 ومن سُمِّه ما ليس تسقى الأراقم'

وحين يضطر شاعرنا الى الشكوى اضطراراً ،
 فانه - شأن الكريم - يتجمل بالصبر ، ويظهر
 الابتسام تجملاً وتصبراً ، وان كان به ما يُبكى
 أقلته العيون :

صَبَرْتُ عن الشكوى حياءً وعفة
 وهل يشتكى لدغ الأراقم أرقم ؟
 وبى كلُّ ما يُبكى العيون أقلته
 وان كنتُ منه دائماً أتبسم'

وتلفت نظرنا في شكوى « تميم » ظاهرة

التشكى في شعره ومدائحه التى يخاطب بها أخاه
 الخليفة العزيز بالله . وهى شكوى تحمل دلالة
 نفسية على تألمه باطناً من الوضع الذى حرّمه
 الخلافة وأعطاهما لأخيه العزيز . وقد يكون
 شاعرنا غير لبق ولا موفق فى اتخاذ هذا الموقف ،
 ولكنه معذور حين يجد نفسه مضطراً اليه ،
 فيقول :

أعللُ نفسى بالأمانى تجلداً
 وأوهمها أنَّ الزامه فى العدمِ
 صبرتُ على الأحداث حتى أذبننى
 وحتى انتهت سكينهن الى العظمِ
 ولم يلقَ مخلوق من الدهر مثلي
 لقيتُ من الأرزاء والجور فى الحكمِ
 فما عنتت غيرى الخطوبُ بجورها
 ولا ظلمت أحداثها أحداً ظلمي
 أرؤنى مريض القلب مثلى والمنى
 عليل الغنى والحال والحظَّ والجسمِ !!

لا شك أن مصدر الشكوى فى شعر تميم بن
 المعز هو الحالة النفسية التى أصابته بحرمانه من
 الولاية والخلافة والنفوذ والسلطان والأمر

والنهي ، فهو رجل مهدّم الآمال محطّم المنى .
يعيش على هامش الحياة بعد أن كان مرشدا
للعيش على قممها وفي الصميم ، وهو في الوقت
نفسه رجل عليل ، هدف في كل لحظة للعلل
والأمراض التي تعوقه حتى عن المشاركات التي
يفرضها عليه مكانه كأخ للخليفة القائم على
عرش البلاد ...

بَابُهَا مِنْ شِعْرِهَا بِمِثْلِهَا

١. المَدْح

قال من قصيدة طويلة يمدح أخاه العزيز
بالله نزاراً :

ولى من « نزار » لُحمة شُد نسجها
مَعَد ، ويعوِني واياه منصب'
وقربى تراضعنا جميعاً لبانها
وصنوا اذا عُد الاخاء ومنسب'
فلا يتَّهمنى الحاسدون ببغهم
فعزى من عز (العزيز) مركب'
إمام له من كل نفس مراقب
وفى كل أرض عقد عز ومقنب'
محبته حتم على كل مسلم
وطاعته فرض من الله موجب'
كان العطايا والمنايا نوافل
يجود بها فى حين يَرْضَى ويغضب'
رفيع المعاني فى العيون معظم
كريم السجايا فى النفوس محبب'
ألد من الشهد المصفى مذاقه
وأطيب من نيل الأمانى واعذب'

وأَمْضَى من المقْدار عِزْماً وبَطْشَةً
وأَوْسَع للأيام صِدرًا ، وأَرْحَب
مَأْثَرَهُ في حَلِيبَةِ الْفَضْلِ سَبَقْ
وتَدْبِيرُهُ في ظِلْمَةِ اللَّيْلِ كَوَكَبْ
وَأَرَاؤُهُ يَوْمَ الْقِيَاءِ نَوَافِذْ
مَوَاضٍ إِذَا كُلَّ الْحَدِيدِ الْمَضْرَبْ
هَنِئًا لَكَ الْأَعْيَادُ يَا عِيدَهَا الَّذِي
بِهِ يُنْمَحُ الْعِزُّ الْمُنِيعْ وَيُوَهَّبْ
وَمِلءْ فُضَاءَ الْأَرْضِ حَوْلَكَ صَاهِلْ
وَأَسْمَرْ خَطِيئِي ، وَعَضْبُ مَشْطَبْ
فَسَرْتُ بِهِمْ مُسْتَعْصَمًا بِسَكِينَةِ
كَأَنَّكَ مَنْ لُبْسِ التَّقَى مَرْتَقَبْ
وَقَمْتَ بِهِمْ فِي مَنْبَرِ الْمَلِكِ خَاطِبًا
بِمَا لَمْ يَقُمْ مَلِكٌ سِوَاكَ وَيَخْطُبْ
وَأَفْصَحْتَ حَتَّى لَيْسَ الْإَكْ مُنْفَصِحْ
وَأَسْهَبْتَ حَتَّى لَيْسَ الْإَكْ مُسْهَبْ
تَبَشَّرَ طُورًا بِالْإِلَهِ ، وَتَارَةً
تَخَوَّفُ مِنْ عَصِيَانِهِ وَتَرْهَبْ
بَيَانًا وَوَعْظًا قَدْ تَنَاهَيْتَ فِيهِمَا
كَأَنَّكَ لَمْ يَسْبَقْ « قُس » وَ « يَعْرَبْ »
وَأَثَبْتَ فِي الْأَسْمَاعِ بِرُهَانِ حَكْمَةٍ
يَقْصُرُ عَنْهَا مَنْ يَقُولُ وَيُطْنِبْ
لَأَنَّكَ فِي بَحْرِ الْبَلَاغَةِ مُفَرَّقْ
وَفِي سَاحَتِي أَرْضَ النَّبِيسَةِ مُنْجَبْ

لِيَهْنِكَ أَنْ الْفَضْلَ أَجْمَعَ كُلَّهُ
 إِلَيْكَ أبا المنصور وَحَدَّكَ يُنْسَبُ
 وَأَنْتَ الْمُصْطَفَى الْمَلِكِ الَّذِي
 بَطَّاعَتُهُ مِنْ رَبِّنَا نَتَقَرَّبُ
 وَلَوْلَاكَ كَانَ الْمَلِكُ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ
 وَكَانَ عَلَى أَفْقِ الشَّرِيعَةِ غِيَهَبُ
 عَلَيْكَ صَلَاةُ اللَّهِ مَا طَلَعَ الضُّحَى
 وَمَا حَنَّ لِلْأَوْطَانِ مَنْ يَتَفَرَّبُ

وقال من قصيدة يمدحه أيضاً :

إِمَامٌ كَأَنَّ اللَّهَ وَصَّاهُ بِالْعِلَالِ
 فَلَيْسَ لَهُ فِي غَيْرِ مَعْلُومِهَا أَرْبُ
 فَيَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ ، وَابْنَ وَصِيِّهِ
 وَحَسْبُكَ ذَا جَدًّا ، وَحَسْبُكَ ذَاكَ أَبُ
 إِذَا عُبِجَتْ عِيْدَانُ قَوْمٍ فَأَخْلَفْتَ
 تَفَجَّرَ مِنْ عِيْدَانِكَ الْمَاءُ وَالضَّرَبُ
 يَدٌ مِثْلُ صَوْبِ الْغَيْثِ جُودًا وَنَائِلًا
 وَرَأَى كَعْدًا الصَّارِمِ الْعَضْبِ ذِي الشُّطْبِ
 وَنَفْسٌ لَوْ أَنَّ الدَّهْرَ مِنْ بَعْضِ هِمَمِهَا
 لِأَفْتَنَتْهُ حَتَّى لَا تُعَدَّ لَهُ حِقَبُ
 أَلَسْتَ أبا المنصور أَوَّلَ نَاصِرِ
 لِمَعْرُوفٍ كَفَّيْهِ عَلَى الْمَالِ وَالنَّشَبِ
 وَأَشْرَفَ مَنْ أُعْطِيَ ، وَأَكْرَمَ مَنْ عَفَا
 وَأَفْضَلَ مَنْ وَفَّى ، وَأَجُودَ مَنْ وَهَبَ ؟

تتيه بفعليك المكارم' والعلا
وتلبس حلياً من ملافيظك الخطب
ولولاك كانت عقوق الملك مـورداً
لكل من استعلى به البغي' واغتصب
ولكنك الذوئاد عنها بعزمه
ومانعها بالمشرقية والقضب
حميت ذمار الحق حتى عصمته
وأطلقت مزن الغيث حتى قد انسكب
وشردت أعداء الخلافة عنة
فلم يقدرُوا الا على البعد والهرب !
تركتهُم كالجن في كل بلقع
يلوذون بالأجبال منك وبالكثب
فانت حسام الله أرهف حده
فصال به جذ الأمور على اللعب
ليهنك نورو تباشرت العلا
بسعدك فيه واضمحلت بك النوب
وعادت بك الأيام فيه أو انسا
وأصبح فيه مبعد الخير مقترب
وزادت مدود (النيل) حتى كائما
أتتك ارتغاباً تقذف الموج أو رهب
كان بنات الماء فاضت على الثرى
بمسك ، ومجت فيه عنبرها التراب
فقد غصت الخلجان حتى كأنها
مدائن تدعو من جيوشك بالهرب

فدام لأهل مصر عمرَكَ أنْهم
غَدُوا بِكَ فِي ظِلِّ مِنَ الْعِشِّ مُنْتَصِبِ

وقال من قصيدة يمدح بها والده المعز
لدين الله ، ويهنئ بابلاله من علة :

تَبْلَجَ هَذَا الْمُلْكُ عَنْكَ وَأَشْرَقَتْ
تَرَائِبُ مِنْ أَفْعَالِهِ وَخُدُودُ
لِيَهْنِكَ أَنْ اللَّهَ فَوْقَكَ مَالِكُ
وَدُونِكَ كُلُّ الْمَالِكِينَ عَبِيدُ
وَأَنْتَ غَرَسَ اللَّهُ فِينَا ، وَأَنْنَا
غُرُوسُكَ يَنْمَى فَضْلُهَا وَيَزِيدُ
وَجُوهَ تَجَلَّتْ فِي سَنَّاكَ وَأَنْفُسُ
وَتَبَّتْ تَرَوَى فِي ثَرَاكَ وَعُودُ
وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ بِنَاكَ الَّتِي غَدَتْ
يُشِيدُهَا فَضْلُ لَدَيْكَ وَجُودُ ؟
وَكُلُّ بِعَمْدِ اللَّهِ قَدْ رَامَ هَدْمَهُ
فَأَعْيَاهُمْ مَا تَبْتَنِي وَتَشِيدُ
وَتَأْبَى ، وَيَأْبَى اللَّهُ أَنْ يَنْقُضَ الَّذِي
تُرِيدُ ، وَأَنْ يَعْلُو عَلَيْكَ مُرِيدُ
وَقَدْ شَرَّدَ اللَّهُ الْأَعَادَى وَالضَّنَى
وَأَعْقَبَ نَارَ الْحَادِثَاتِ خُمُودُ
بِعِزِّ يَسْدُ الْخَافَقِينَ ، وَدَوْلَةَ
لَهَا فَوْقَ أَعْنَانِ السَّمَاءِ صُعُودُ

فرحتَ وحُسنَ البرءِ مثلكَ زاهراً
وشخصَ الضئى كالمارقين طريد'

فأيُّ أيادي الله نبداً بشكرها
لديك ، وأى المكرماتِ نعيد ؟
لئن خصنى منها الاله' بحظوة

لقد عم منها العالمين سُعود'
وللناس آمال ضروب وأنفس
تسوق' الى أوطارهم وتقود'

وليس لنا الاّ عليك معوّل
وليس لنا الاّ اليك مَعيد'

فلا زالت الدنيا وتورك لبسها
ولبسك فيها صحة وخلود'

وقال من قصيدة يمدح بها والده معداً الملقب
بالمعز لدين الله :

أنا ابن من قد أعزّ الدين منصله'
وأذعنت لعُلاه العُرب والعجم'

أعنى الامام (معداً) خيرَ من حسنت
به الخلافة' ، واستعلت به النّسم'

فخراً ومجداً أميرَ المؤمنين ، فقد
صلّى عليك النّدى والمجد' والكرم'

تصمّ أذنك عن لاحيك فى كرم
وما بسمعك عن داعى النّدى صمم'

فَعَرِضُ 'مَجْدُكَ بِالْمَعْرُوفِ مَمْتَنِعُ
 وَعَرِضُ 'مَالِكَ فِي الْعَافِينَ مَقْتَسَمُ
 مِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ دُونَ النَّاسِ مَعْتَصِمًا
 أَمْسَى وَلَيْسَ لَهُ فِي الْأَرْضِ مُعْتَصِمُ
 يَا حُجَّةَ فَلَجَتْ لَكَ ، وَاتَضَعْتَ
 حَتَّى اهْتَدَى بِسُنَا بَرْهَانِهَا الْأُمُ
 يَا مُطْلِقَ الْأَمْلِ الْعَانِي وَمُخْرِجَهُ
 لِلْيُسْرِ مِنْ بَعْدِ مَا أَوْدَى بِهِ الْعَدَمُ
 لَوْلَا (مَعْد) أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَمَّا
 عَزَّ الْهَدَى ، وَفَشَتْ فِي عَصْرِنَا النِّعَمُ
 فِي كُلِّ مَوْطِنٍ مَعْرُوفٍ يَمُدُّ يَدًا
 وَفِي تَقَى كُلِّ تَوْحِيدٍ لَهُ قَدَمُ
 أَعَزُّ ، أَرْوَعُ ، وَضَّاحٍ لِنَاطِرِهِ
 كَأَنَّهُ فِي أَعَالَى « هَاشِم » عِلْمُ
 حُلُو الشَّمَائِلِ فِي أَخْلَاقِهِ شَرَسُ
 طَوْرًا ، وَلَسِينَ ، وَفِي عَرْنِينِهِ شَمَمُ
 طَابَتْ وَلَادَتُهُ مِنْ (أَحْمَد) وَزَكَتْ
 مِنْهُ الْخَلَائِقُ وَالْأَعْرَاقُ وَالشَّيْمُ
 يَلْقَى دَوَاعِيَ الْخَنَا وَاللُّؤْمُ مِنْهُ « بِلَا »
 وَلَيْسَ تَخْذُلُهُ فِي صَالِحٍ « نَعَمْ »
 أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لَا أَحْصَى قَضَائِلَهُ
 عَدَا ، وَلَوْ أَنَّ كُلِّي مَنْطِقٍ وَقَمُ
 وَكَيْفَ يُحْصَى الْوَرَى عَدَا مَنَاقِبَ مَنْ
 لَمْ يُلَفَّ شِبْهُهُ لَكَ فِي النَّاسِ كُلِّهِمْ

وما رأيت سوى مدح (المعز) ثنا
يزهى به الحبر والقرطاس والقلم
كأنما ملكه هدى وموعظة
ودهره فرح للناس مبتسم

ب - التهانى

قال من قصيدة يهنئ بها أخاه العزيز بالله
بالسلامة من « الفصد » :

امام الهدى سعد ، وقال مبارك
واقبال عز ليس فيه مشارك
وفصد لواء الجود فى الناس فاصد
وبراء لك الأعداء فيه تتارك
تفجّر من يميناك باليمن للعلا
دم لدم الأعداء ما عشت سافك
دم أعقبته صحة وسلامة
وحفّت به قبل الأنام الملائك
لنفس طيب جس عرقك سؤلها
فقد جس ما لا ينتهيهِ مماسك
يدا ملك ما زال منذ كان فيهما
لبذل العطايا والمنايا مسالك
فوجه الهدى ريان أبيض ناصع
كما بك وجهه الشرك أسود حالك

وقال من قصيدة يهنئه فيها بالعيد :

قواضب الرأي أمضى من شبا القضب
والحزم في الجد ليس الحزم في اللعب
والعز ليس براض عن علا ملك
ما لم تمنعه سيوف الهند بالقضب
وليس يستطعم الراحة طيبة
من لا يخوض اليها شدة التعب
وتركك الشيء مما تستريب به
عجز ، وداعية تفضي الى العطب
إذا استربت بشيء فامح ظلمته
فذاك أنفَى ليل الشك والرَّيب
أعلى المراتب ما تبنيه مجتهداً
وأفضل المجد ما تعويه بالنَّصَب
بت ساهراً عند رأس الأمر ترقبهُ
ولا تبت نائماً عنه لدى الذَّنْب
والهم بالخطب قبل الخطب مَنبَهة
ومن رمى بسهام الحزم لم يغيب
يرجى دفاع الرزايا قبل موقعها
وليس يرتجع الماضي من الثوب
وأفضل الحلم حلم عند مقدرة
وأعذب الجود ما وافى بلا طلب
يَهنّا (العزيز) على العلياء منزلة
لم يحسوها ملك في سالف الحقب

خلافة علوي أصل' مَوْرِثُهَا
 ومـولِدِ نبوي' الجنس والحسبِ
 لقد حويتَ أبا المنصور مرتبة
 من المكارم طالت أرؤسَ الرُتَبِ
 أنت المسمي' المرجي قبل مولده
 والخامس' القائم (١) المذكور' في الكتبِ
 ما زلت تخطب' للعلياء أنفسَها
 دونَ الملوك بيض الهند والذهبِ
 حتى جلستَ على الجوزاء منفرداً
 بها ، وقبّلتَها في موضعِ الشَّنَبِ
 مكارم حَزَّتْهَا ، لمَ يحوها ملكِ
 في سالفِ الدهر من عَجَم ولا عربِ
 يا ناصرَ الدين والجَدوى وطالبَها
 وفارس القول والأنبياء والخطبِ
 هناك عيد ، أعدت السعد فيه لنا
 عسوتاً على نكد الأيام والشَّغَبِ
 برزتَ فيه بروزَ الشمس كاسفة
 بضوئِها لضياءِ البدر والشَّهَبِ
 تأملوا منك بالأبصار اذ نظروا
 تقوى امام ، ولاذوا منك بابن نبي ...

(١) يريد أنه الخامس بعد أربعة خلفاء هم : المهدي ، والقائم
 والمنصور ، والمعز .

وقال من قصيدة يهنئ بها أخاه الخليفة
العزیز بالله بمولود ولد له :

ليهن الملك مالكنه الجديد
ووارثه وأن رغم الحسود
أتيت به أبا المنصور فردا
تنير به الليالى وهى سنود
يلوح عليه منك هدى وفضل
ويظهر فيه منك حبا وجود
حكاك ، كما حكيت أباك شيها
كذاك الأسد أشبلها الأسود
ولدت الشمس يا صبح المعالى
فأنجب والى ونمى وليد
فأفنية الزمان به ملاء
وكوكبها بأسعده سعيد
وليى كانت الدنيا ترجى
ولادتاه ، وترقبته السعود
وكم رصده آمال البرايا
حوافل ، قبل يظهره الوجود
وكم هتفت به رهن (١) الأمانى
ليطلقها ، ونادته الوفود

(١) الرهن : جمع رهن وهو ما يعبس لقاء حق أو دين .

وكُم رَجَتِ الخِلافةُ أن تراه
كما يرجو أَحَبَّتْهُ العُميدُ
إلى أن تَمَّ أَمْرُ اللَّهِ فِيهِ
ولاح السَّعْدُ ، واقترَبَ البُعْدُ
فألقت حملها الدنِيا تِمَامًا
به ، ولكلِّ حاملةٍ حدودُ
وأعطيتِ الخِلافةُ ما تَمَنَّتْ
به واللهُ يَفْعَلُ ما يريدُ
وأُطْلِعَ بِدَرْهَا ، وعَلَا ضُحَاها
وأسفر صَبْحُها ، ونأى الهُجُودُ
وقرَّ المَلِكُ ، واتَّطَدتْ بِنَاهُ
فأمكنه التَّزْييدُ والصُّعُودُ
وعزَّ الحقُّ ، وارتفعت قَنَاهُ
وجدَّ الوعدُ ، واشتدَّ الوعيدُ
فكيف إذا نما واشتدَّ حتى
تتم به المِصَادِرُ والوُروُدُ
وقاد الخِيَلَ ، واعتقلَ العِوَالِي
وخافته التَّهَائِمُ والنَّجُودُ
وشنَّ على العِدا من كلِّ فج
كتابًا لا تُعَادُ ، ولا تُعِيدُ
على قُبِّ (١) ، سوابقَ ، طِاويات
أياطلُّها كما تطوَّى البرودُ

(١) القُب : جمع أقب والقُبب ضمور خصر العِصان . والأياطل جمع أياطل وهو خاصرة العِصان .

فَعُمِّرْ عُمُومًا بِأَقْبَى الْيَوْمِ
 تَوَاصِلْهُ السَّلَامَةُ وَالْخُلُودُ
 يُصَرِّفْ أَمْرَهُ قَبْضًا وَبَسْطًا
 يُشَدُّ الْحُلَّ فِيهِ وَالْعُقُودُ
 وَيَرْضَى الدِّينَ وَالْدُنْيَا جَمِيعًا
 وَتُمْحَى فِي الْقُلُوبِ بِهِ الْحُقُودُ
 عَزِيزٌ ، نَزَارِيٌّ ، مَلِيكٌ
 لَهُ الدُّنْيَا وَمَنْ فِيهَا عَبِيدُ
 فَأَيَّاتُ (الْقُرْآنِ) (١) لَهُ تُرَاثُ
 وَأَبْنَاءُ النَّبِيِّ لَهُ جُدُودُ
 نَمَا بَيْنَ الْمَكَارِمِ وَالْمَعَالِي
 فَطَارْفُهَا لَهُ ، وَلَهُ التَّلِيدُ
 فَهَنَّاكَ الْإِلَهَ بِهِ الْعَطَايَا
 وَأَنْ رَغَمَ الْمُعَادَى وَالْحُقُودُ
 وَقَابِلَ نَجْمِكَ الْإِسْعَادُ فِيهِ
 وَشَدَّ بَقَاءَ نَعْمَاكَ الْمَزِيدُ
 فَانْتَ أَعَزُّ مِنْ مَلِكِ الْبَرََايَا
 وَمَنْ خَفَقَتْ بِنُصْرَتِهِ الْبَنُودُ

وقال يهنىء أخاه العزيز بعيد الفطر :

ثلاثة أعياد تلاقين : جمعة
 وفطر ، وعيد بالأمام (نزار)

(١) القرآن : أصلها القرآن .

كذا قرّر الله المحاسن كلّها
 عليك أبا المنصور خيرَ قرارِ
 برزتَ بـرُوزِ البدر ليلةَ تمّنه
 وسـرتَ برهبانيّة ووقارِ
 وقمتَ خطيباً تورّد الحقّ ورده'
 وتنصّر' دينَ الله غيرَ منداري
 كأن ملوكَ الأرض في الأرض ظلمة
 وانتَ على الآفاق ضوءُ نهارِ
 وقال يهنئ أخاه العزيز بالله بقصر بناءه ،
 وهو من شعره المرتجل :

نجومٌ سـعودك لا تـفتر
 وآياتُ فضلك لا تنـكر'
 وفي كل ما أنت فعّـالـه
 لك المعجزات التي تبهر'
 فمجدك ما فوقه مـصعد
 وقصرُك ما بعده مـنظر'
 منـازل' لم يـبن مثـلا لها
 على الأرض كسرى ، ولا قيصر'
 بنـاء تردّد فيه الجمال'
 ولاحَ عليه السّـنـا الأنور'
 فظاهره العزّ مستظهر
 وباطنه التّبر والجواهر

ولو سَحَرْتَ أربَع قبله
لكان البديعَ الذي يَسَعَرُ
فَهْنِيَّتِنه' ، وتمالأتَه'
وذَلْ لك الدهرُ والأعصرُ'

ج - العتابُ

وقال من قصيدة يعاتب بها صديقه وصفيه
الحسين بن ابراهيم الرسِّي :
أبا عبدَ الاله ، ووجهه' ودئي'
مُنْزال عن أسرَّته القناع'
علامَ وأنت فيما صحَّ عندي
صديقٌ " ما لغلَّتَه انصداع'
تأخرتِ الرسائلُ منكَ عني
وأبطتِ عن تعهْدِي الرقاع'
أسهوا يا ابنَ ابراهيمَ عني
فأسهوا ، أم أعاتبُ ، أم أراعُ ؟
ومثلك لا يبييع أخا ببخس
على حال ، ومثلي لا يباع'
ولسنا نلتقي لقيما اجتماع
فيُغنيننا عن الكتبِ اجتماع'
ولكن تُعرب الأقلامُ عنا
إذا افترقت بشخصينا البقاع'
وأكثرُ حظَّنَا في البُعد أنَّا
أمِنَّا أن يروِّعَنَا الوداع'

بآيَةٍ حُجَّةٍ تَعْتِجُ عِنْدِي
 وَلَيْسَ لَوَاضِحِ الْحَقِّ انْدِفَاعُ
 وَأَنْتَ مِنَ الْمَلَالِ عَلَى انْتِهَاءِ
 شَهِدْنَ بِهَ عَلَيْكَ لِي الطَّبَاعُ
 أَبَا عَبْدِ الْإِلَهِ ، وَوَفِّدُ وَدِّي
 لَدَيْكَ ثَوَى ، وَلَيْسَ لَهُ زَمَاعُ
 فَهَكَذَا حَدِيثُ مَا عِنْدِي بِنَصِّ
 إِلَيْكَ ، وَلَيْسَ كَالْخَبْرِ السَّمَاعُ
 سَأَذْكَرُ أَنْ نَسِيْتُ قَدِيمَ عَهْدِي
 وَأُسْهِلْتُ أَنْ أَلْمَ بِكَ امْتِنَاعُ
 لِأَنِّي لَيْسَ فِي طَبْعِي انْقِلَابُ
 يُزِمُّ ، وَلَيْسَ فِي وَدِّي خَدَاعُ ...

وَقَالَ فِي عِتَابِ بَعْضِ أَصْحَابِهِ :

أَنْ تَكُنْ قَدْ سَلَوْتَ عَمَّا عَهَدْنَا
 وَاطَّرَحْتَ السُّؤَالَ لِمَا بَعَدْنَا
 فَأَنَا حَافِظٌ لِعَهْدِكَ رَاعُ
 لَكَ مَا عَشَيْتُ أَنْ حَضَرْنَا وَغَبْنَا
 مَا تَعَرَفْتَ حَالَنَا بِكِتَابِ
 مِثْلَ مَا يَفْعَلُ الْمُحِبُّ الْمَعْنَى
 لَا وَلَا رَحْتَ حِينَ غَبْنَا ثَلَاثًا
 تَشْتَكِي وَحْشَةَ التَّفَرُّقِ مِنَّا
 خَيْرُ أَهْلِ الْوَفَاءِ ذُو الْحِفْظِ بِالْأَفْعَالِ ،
 لَا مَنِ يَقُولُ : إِنَّا ، وَإِنَّا !!

د - الفخر

وقال يفتخر :

ليس من سَادَ عن وراثَةِ جدٍ
وبعظ من العظوظ متاحٍ
يستعق الثَّنَا ويستوجبُ الشكـ
رَ ، ويعوَى مدائح المدايح
انما السيدُ المعلى المفضى
من عَلا للعُلا صُدورَ الرماح
ورَمَى ليل كل خطب بهيم
بذكاء أضوا من المصباح
واقتنى العِزَّ بالثبأ والعوالى
واشترى الحمدَ بالنَّدَى والسماح
فكذا تَبَتَّنَى المكارمُ والمجـ
دُ ويُسْتَبَعْدُ العدو الملاحى
لا كَمَن قَد جرى برجلٍ سِواه
وسما طائراً بغير جناح
لا أَلْفَتُ العُلا ولا أَلْفَتَنِى
ان توشَّحتْ دُونَهَا بوشاح
أو ترفهتْ أو تشاغلتْ عنها
بأباطيل قينة أو براح
لا ، ولا ابيضُّ لى سنا المجد ان لم
استجد غسله بنزق الجراح

واللاق العُداة عنه' بعزم
 علّوى يفلّ حدة الصفاح
 وبيطش يقرى الجماجم والأعنا
 ساق قرى المدى لنعوم الأضاحى
 أنا فرد' النهى ، وربّ المعالى
 وحسام' الكفاح يوم الكفاح
 أنا مفتاح' قفل كل نوال
 يوم يقدو الندى بلا مفتاح
 أنا كالجيد' فى الأمور اذا ما
 كان غيرى فيهنّ مثل المزاح
 لا كراض من العلا بادعاء
 وبعرض مجرّح مستباح
 فسيل المجدّ عن صباحى وليلى
 ومقيلى ، وغدوتى ، ورواحى
 هل يسرّ العلا مقالى وفعللى
 وارتياحى لكسبها واقتراحى ؟

وقال من قصيدة يفتخر :

وطاوى على حسد كشحه'
 قديم العداوة مشهورها
 نساء بكسبى العلا كلمّا
 أغرت' بجودى على غيرها
 ويأمل' شاوى ، وهل يفتدى
 أمير' المعالى كماورها ؟

فَاِنْ تَكْ هَاشِمٌ قَدْ عَدَلَتْ
 مَنَابِتْنَا فِي عَنَاصِيرِهَا
 فَمَا نَسْتَوِي فِي الْعِجَا وَالنَّدَى
 وَطَى الْأُمُورَ ، وَمَنْشُورِهَا
 دَعُوا لِي الْعِلَا دُونَ سَادَاتِكُمْ
 فَانْتَى سُورَ عَلَى سُورِهَا
 وَاِنِي نَهَضْتُ بِمَكْسُورِهَا
 وَأَنْسَلْتُ وَحْشَةً مَهْجُورِهَا
 وَأَنْتُمْ تَطُونُ (١) ذُنَابِي الْعِلَا
 وَتَزْدَحْمُونَ عَلَى زُورِهَا
 مَلَأْتُ عَيُونَكُمْ بِالْغُبَارِ
 فَحَسْبُكُمْ مَسْحٌ تَغْيِيرِهَا !
 وَلَا تَطْلُبُوا رَتَبَتِي ... اَنْزِي
 مَلَأْتُ السَّمَاءَ بِتَكْثِيرِهَا
 وَلَا تَفْعَلُوا فَعْلَ آبَائِكُمْ
 فَتَخْطُؤْنَ خَطْوِي بِتَطْهِيرِهَا
 وَرَثْتُ سِيَاسَةَ (مَهْدِيَّهَا)
 وَحَزْتُ شَجَاعَةَ (مَنْصُورِهَا)
 وَلَمْ أَنْعَرِفْ عَنْ سَجَايَا (الْمَغْزُ)
 وَقَائِمِهِ يَوْمَ تَقْرِيرِهَا
 وَلَمْ أَلْقِ مِنْ نَاضِرِي نَظْرَةَ
 إِلَى مَنْظَرٍ غَيْرِ مَنْظُورِهَا

(١) تطون : اصلها : تطاون .

ولم ترثوا غير أنسابكم
ولكن ولعنتهم بتكديرها ...

وقال من قصيدة يفتخر بنفسه وبنسبه
الفاطمي العلوي الشريف :

نحن الذين بهم تسامت هاشم
حتي حوت شرف المعالي اجمعا
رَهِطُ النبي وآله وبنوه من
دون البنين ، وتَبَتُّه مترعرا
والمصطفين المرتضين من السورى
والمفضلين بما حَوَّه تسرعنا
والمطعمين اذا الريح تناولت
شُعتَ الارامل ، واليتامى الجوعا
والمحازمين العازمين شهامة
والقائلين الفاعلين تبرعنا
والفاتقين الراققين سياسة
والطاعنين الضاربين تشجعنا
والمصبعين لكل عاف ملجأ
والرائحين لكل عان مفرعا
والطالعين على البرية انجما
والكائنين لهم غيوثا همعا
والفاطميين السذيين اذا انتموا
حازوا الثقى والفضل اجمع اكتمعا

لا ندعى ما ليس يعرفه' الورى
 منا اذا كذب المنافخ' وادعى
 واذا تصنع للعلا متصنع
 لم نات افعال الجميل تصنعا
 شرف بنته لنا البتول' وبعلها
 وابناهما حتى رسا وتمنعا
 واستودعوه بعداهم ابناهم
 فبنوا عليه وشيدوا المستودعا
 نحن' الذين بنا الكتاب' منزّل
 وبنّا يُجيب الله دعوة من دعا
 ولنا الندى ، ولنا السدى ، ولنا الهدى
 ولنا الجدا ، ولنا الردى يوم الوعى (١)
 لم تلف الا ماجدا ، أو راشدا
 أو رافدا ، أو صاعدا ، أو مصقعا
 ولربّ مضطري دعانى صارخا
 يرجو ندى ونصرتى متكنعا
 لبئته متسرعا ، ومطرته
 متدفععا ، ونصرته متطوعا
 وطروق ليلى فاته مستنجا
 حتى يغيل من العواء سمععا
 أوقدت' نارى باليفاع لعينه
 ودعوته وهنا اليّ فاوضعا

(١) الوعى بغير نقطة على العين ، هى الوعى بنقطة ، وهى العرب

وَقَرَيْتَهُ بِشْرَى ، فَبَاتَ مَهْهَدَا
وَالسَّمَّ غَرَّثَانَا ، فَأَلْفَى مَشْبَعَا
وَكَتِيبَةً فَرَّقَتْهَا ، وَشَدَّادُ
فَرَجَّتْهُنَّ ، وَلَمْ أَبْتَ مَتَضْجَعَا
أَقْبَلْتُهَا بَيْضَ السِّيُوفِ عَوَارِيَا
يَوْمَ الْكَرِيهَةِ ، الْعَوَالِي شُرْعَا
أَبْنَى « عَلِي » أَنْ نَكُنْ نُنْمَى إِلَى
حَسَبِ أَنَا فَبَنَا وَجَدَ أَرْوَعَا
فَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّنِي أَغْشَى الْوُغَى
وَأَنْوَبُ فِي الْجَلَّى قَوْلًا مُسْمِعَا
وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّنِي رُضْتُ الْعَلَا
يَقْعَا ، وَحَاوَلْتُ الْمَسْكَارِمَ مُرْضَعَا
أَرْمَى مُعَادِيكُمْ ، وَأَجْبَرُ صَدْعَكُمْ
وَأَذْبُ عَنْ أَعْرَاضِكُمْ مَتَوْرَعَا
فَدَعُوا لِي الشَّرْفَ الَّذِي شَيْدَتْهُ
أَذْهَضْتُمُوهُ ، فَأَنْكَفَا وَتَضَعَضَعَا
ضِيَّعْتُمُوهُ ، وَلَمْ يَكُنْ أَبَاؤُكُمْ
لِتَضِيْعِهِ ، فَحَفِظْتُ مَا قَدْ ضِيْعَا
وَالْمَرْءُ لَا يَحْوِي الْعَلَا بِجَدُّوهُ
أَذْ لَا يَنْأَلُ الْمَرْءُ إِلَّا مَا سَمَى
فَإِذَا زَكَتْ أَهْلَالُهُ وَأَصُولُهُ
كَانَتْ لَهُ قَمَمُ الْكَوَاكِبِ مَرْبَعَا
أَنِّي لَتَفْزُونِي الْخَطُوبُ مُغِيرَةً
فِيكُمْ ، وَبِي صَدَقَ الْلِقَاءُ سَمِيدَعَا

لا أستكين' من الزمان ضراصة
 كلاً ، ولا أشكو وغناه توجعاً
 وإذا وعَدْتُ وَفَّيْتُ لا متبرماً
 وإذا هممتُ فعلتُ لا متوقعاً
 لا تبطِر السراء بي 'خلقاً ، ولا
 أغدو على ضرائها متخشعاً
 لي في المشارق والمغارب جولة
 يغدو بها قلبُ الزمان مصدعاً
 تستجفلُ الأسادَ عن أجماتها
 وتنشيبُ الطفلَ الذي ما أيفعاً
 فادفع بعد السيف كلَّ ظلامة
 ان لم تجد يوماً سواه مدفعاً
 واركب رءوس السمهرية في العلاء
 فالرمح ناه للعلاء أن تشعاً
 فبذاك أوصاني الوصي ورهطه
 وعليّ فرض أن أطيع وأسمعاً
 فالفرع ليس يخالف الأصل الذي
 منه ابتدا نبأ ، وعنه تفرعاً
 عجيباً لمفتخر بعباسية (١)
 يـزجى القوافي ضلة وتخدعاً
 والله لا سـتروا الضحى بأكفهم
 أبدا ، ولا منعوا السنن أن يلما

(١) العباسية : الخلافة العباسية أو النسب العباسي الذي كان
 يعارضه الفاطميون أبناء فاطمة وعلي بن أبي طالب .

هـ - الرثاء

وقال يرثى والده الخليفة المعز لدين الله :

كيف لا تعدّم الجسوم القلوبا
وترى نضرة الوجوه شحوبا ؟
من يعزى الجياد ، أم من يسلى
مجلس الملك والسريّر الكثيبا ؟
فقدوا بعدك القلوب اللواتى
شقنّها واجب ، فشقوا الجيوبا
وا معزّاه ! وا معزّاه ! حتى
يفتدى الدمع بالدماء خضيبا
فليذق غيرى الحياة ... فانى
لا أرى للحياة بعدك طيبا

وقال من قصيدة يرثى بها أخاه (عقيلا) ،
ويرثى معه الشهداء من أهل البيت :

قسمة الموت قسمة لا تجور
كلّ حي بكاسها مغمور
يستوى كلّ من تفاوت فيها
لا أمير يبقّى ولا مأمور
نعن فى غفلة ، وللموت فينا
طالب ، مدرّك ، مجّد ، قدّير

نستطيع المنى وهنّ عواص
 فنطيل' الأمسال' وهى غرور'
 ليس ينجو من الغرور سوى من
 قـبره' فى فـؤاده محفور'
 كدّر الموت' صفو عيشى وهـل فى الأ
 رض عيش ما شـابـه' تكدير' ؟
 وتذكرت' بالمصائب قومى
 وجدودى ، انى لقومى ذكور'
 أين قومى الألى الذين بهم كا
 ن يموت' الغنا ، ويحيا الفقير'
 لو حمى معشرا من القوم حام
 لحت قومى العـلا والخيـر'
 أين آبائى الذين تغانوا
 وبهم كانت الليالى تنير' ؟
 أين جدى « حسين » بن علي
 أين « زيد » المفجّع الموتور' ؟
 أين « مهدينا » المملك والقـا
 ثم ، أين « المعز » و « المنصور » ؟
 أين تلك العلوم والفضل' والألبـ
 باب بل أين ذلك التدبير' ؟
 أين ذاك السلطان والملك والمنـ
 سعة والبطش والعـلا والظهور' ؟
 أين تلك الجيوش' والعزّة القـسـ
 ماء' والجمع' ، والعديد' الكثير' ؟

فرقتهم يدُ المنسُونِ فبادوا
 وحوتهم بَعْدَ القصورِ القبورُ
 سلفِ صالح ، وأملاكُ صدق
 بهموا تستوى ، وتلوى الأمورُ
 ثم عشنا ثلاثة ، بفمِ العا
 سد من عيشنا الثرى والصخورُ (١)
 فَعَمَرْنَا بِـذَٰكَ مُدَّةَ دَهْرٍ
 كُنَّا ظَاهِرِ الرضى مسرورِ
 لم يعش (للمعز) نَسْلُ سَوَانَا
 كُلُّ مَيِّتٍ بِنَجْلِهِ مذكورُ ...
 فأصابت يد المنسُونِ (عَقِيلَا)
 وهو مثلُ القضيبِ غضِ نضيرِ
 حين هَزَّ الشَّبَابُ أعطافه الغيـ
 دَ وحِينِ اسْتَوَى له التعميرِ
 لم يُجَاوِزْ حَدَّ الثَّلَاثِينَ إِلَّا
 بِلِيَالٍ لَيْسَتْ لَهَا تَكْثِيرُ
 أين تلك البشاشةُ الغُضَّةُ الطَّلـ
 قةُ والمنظرُ البهيمُ المنيرُ ؟
 أين ذاك الطَّبَعُ السليمُ وذاك الخُلـ
 قُ العَذْبُ والسَّنَا والنورُ ؟
 أين ذاك البشرُ الذى كان يبدو
 من سَنَاهِ للنَّاظِرِينَ البشِيرُ

(١) يقصد بالثلاثة : تميم ، ونزار . أما اخوهم الرابع عبد الله
 فقد تولى فى حياة أبيهم .

كان عفاً الضمير عَذَبَ السَّجَايا
 ليس في يُسَرُّ أَمْرَهُ تَعْسِيرُ
 صادقَ الود ، وارى الزَّئِدَ لا يَعْبُدُ
 —————
 سدوه في كل حالة تطهير
 صار مِن بَعْدَ ذَلِكَ الْآنَسَ وَحْشاً
 وهو في قعرِ حُفْرَةٍ مَهْجُورِ
 آه من لوعة لها في سوادِ الـ
 —————
 عَيْنِ دَمْعَ ، وفي القلوب زفيرُ !

وقال من قصيدة يرثى بها أخاه عبدالله ، وهي
 من نفس القافية والوزن في مرثيته السابقة
 لأخيه عقيل :

كل حي الى الفناء يصير
 والليالى تعلة وغرور
 والى الله يرجعُ الملكُ والملك
 وينفضى الأمرُ والمأمور
 واذا لم يكن من الموت بُدْ
 فطويلُ الحياة نزر حقير
 أى خطب أرى ، وأى ليالٍ
 دهم الناسَ صرفها المحذور
 كيف لا تأثرُ المصائبُ في النفسَ
 —————
 حس على مَنْ هو النفيسُ الأثيرُ ؟
 وكذا الرزءُ بالعظيم عظيم
 وكذا الرزءُ بالحقيرِ حقيرُ

كيف لمَ تسقطَ السماءُ على الارض ، ولم تَهوِ شمسُها والبدور ؟
 يومَ ماتَ الأميرُ بـل يومَ ماتَ
 ت الصبر فيه ، بل يومَ ماتَ السرورُ
 يومَ بـلَّ الثرى عليه من الدمـ
 ع ، وقُدَّتْ على القلوب الصدورُ
 يومَ حطَّتْ عمائمُ ، وأذاعت
 سرَّها فيه أدور ، وخدورُ (١)
 يوم أبكى العيون حتى بكاه الأ
 سدُّ السورد والفزالُ الغريرُ
 وسمعتُ الزفير وهو صراخ
 ورأيتُ الدموعَ وهي بحورُ
 فى أوان هو الشتاءُ فامسى
 بلهب الأنفاس وهو هجيرُ
 شَيَّعتْ نعشَه ملائكةُ الله
 وروَّتَه رَحمةُ و ظهورُ
 بمقام غابت وجوهُ التعزى
 عنه ، والحزنُ والأنامُ حضورُ
 قَبروا شخصه ، وواروا سَناه
 وتولَّوا والفائز المقبورُ
 كم نصير له هناك ، ولكن
 ليس من سورة الحِمام نصيرُ

(١) حطت العمائم ، أى حط المعزون عمائمهم عن رؤسهم وخلعوها ،
 لأن الملوك لا تعزى فى العمائم ، والأدور : جمع دار .

لو تركنا الى الفداء فداه
من يد الموت عالمون كثير
وسيوف ومثلهم من عبيد
ورماح ومثلهم من عشير
قدس الله روحه وضريحه
حله ذلك السنا والنور

يا أخى ! أى عبرة ليس تهمنى
وفؤاد عليك ليس يطير ؟
يا أخى ! ان بكتك عينى فانى
بالبكاء والأسى عليك جدير
يا أخى عبيد الله ! أى مساع
لم يفقهن سعيك المبرور ؟

وقال يرثى قينة مغبة :

ذكرتك بالريحان والراح ذكره
مرددة كادت لها النفس تزهق
فلما تناولن الغناء شواديا
وأتبع مزموماً من الضرب مطلق
تبعَت العينان شخصك فيهم
فلما تآى ظلت دموعي ترقرق
الى الله أشكو فقدما مثل ما شكا
الى الله فقد الماء عطشان مؤثق
كان فؤادى منذ بان بها الردى
جناح وهت اجزاؤه فهو يخفق ..

و - الغزل والنسيب

وقال مقطوعة في الغزل الخالص الذي ليس
تقديماً لغرض آخر :

ولمّا تَلَقَيْنَا ولم نَخشِ كَاشِحاً
ولم نَتَّكِمْ ما بَنَا من جَوَى الحُبِ
جعلتْ يَدِي مُسْتَغْبِراً فَوْقَ قَلْبِهَا
وجالت بِيَمْنِي رَاحَتِهَا على قَلْبِي ..!
فلما تَصَادَقْنَا اخْتِيَاراً ورؤْيَا
تعلّقَ مِنْهَا الصَّبُّ بِالْمَدَنَةِ الصَّبِّ !
وبِتْنَا على غِيظِ العَدُوِّ ورَغْمِهِ
ضَجِيعِينَ نَجْنِي العُطْبِ مِنْ شَجَرِ القُرْبِ
تَنِيرُ بِمِثْلِ البَدْرِ مِنْ صَحْنِ خُلْدِهَا
وتَفْتَرُّ عن نُورِ الضُّحَى ، بارِدٍ ، عَذْبِ

وقال أيضاً :

وَا بَابِي الظُّلُمِي الذي لَو بَدَا
لِلبَدْرِ ، قال البَدْرُ : وَا ظَلَمْتَاهُ !
أَثَرْتُ بِالْأَحْطَاطِ فِي خُدِّهِ
فَانْتَصَفْتُ مِنْهُ لهُ مَقْلَتَاهُ
ثُمَّ رَمَيْ قَلْبِي بِالْحَاطِظِ
وَا بَابِي الْحَاطِظُ مِنْ رُمَاهُ !
كَمْ سَفَكَتْ أَجْفَانَهُ مِنْ دَمٍ
نَمَتَ عَلَيْهِنَّ بِهِ وَجَنَّتَاهُ

يا قوم ما بال' ظلاماتنا
 في الحب لا ينظر فيها القضاء ؟
 فتمنعَ المحبوبَ من زهوه
 وتنصفَ العاشقَ مِن جفاه
 لا تطلبوا خلقاً بقتلى سوى
 فواتر اللحظ ، ووردِ الشفاه !
 لو قيل لي : ما تشتهي ؟ لم أقل
 شيئاً سوى قلعِ عيونِ الوشه
 يا من براني حبسه ، وانتهى
 بى العنا فى هجره منتهاه
 منعنى العليفَ بمنع الكرى
 منى ، فكدرت عليّ الحياه
 والله لا أنسى لها قولها
 من خلف سِجف السّتر واضيعته !
 متى استوت فى الحب أقدامنا
 حتّى أواتيه وأبغى رِضاه
 ثمّ علتهما رقة فانشنت
 قائلة : يَجْزَى بمثلي هواه
 فوجّهت بالدّر لى ثغرها
 وأرسلت لى وجهها فى المراه !!...

وقال فى الغزل أيضاً :

قد كنتُ أركبُ فى هواك مساءتى
 ففعلَ المحبُّ الصّيبُ بالمحجوبِ

وأجودُ بالنفس النفيسة جَاهِداً
 لك في الهوى وَيَطِيبُ لى تَعْذِيبِى
 كيما أراكَ على الوفاءِ وَأَجْتَنِى
 معسولَ وصليكَ وهو غيرَ مشوبِ
 فغدرتَ غيرَ مفادِر ، وقطعتَ غَـ
 يرَ مقاطع ، وَأَرَبْتَ غيرَ مُريبِ
 غالطتُ عَقْلِي فى هَـوَكَ وفِطْنَتِى
 حُسْنُ الوفاءِ بصحَّةِ التركيبِ
 فالعذرُ عَذْرَى اذ جعلتك حاكماً
 فى القلبِ منى ، والذُنُوبُ ذُنُوبِى
 واللهِ لا استمتعت منكَ بنظرة
 وَلَوْ أَنَّكَ المَعزَى (١) الى « يعقوب »
 قد كنتُ أحسنَ من مُناقلةِ الثنا
 فكسوتُ وجهكَ وحشةَ التائبِ

وقال من الغزل فى مفتتح قصيدة يخلص منه
 الى مدح والده الخليفة المعز :
 يُعَدُّ وجيعَ الوجد ما هيَّجَ البُعْدُ
 وأوجعُ منه قُربُ مَنْ قربه الصدُ
 أبى الدمعُ الا أن تَفِيضَ شِوْؤُونَهُ
 فيبْدُو اذا أبدته ما لم يكن يَبْدُو

(١) المعزى الى يعقوب اى المنتسب الى سيدنا يعقوب وهو ولده يوسف
 المشهور بالجمال . والفعل عزا ، واوي ، ويائي .

وعصيان' دمع العينِ غدر برّبه
 اذا بانَ عنه الصبرُ واحتكم الوجد'
 وما ينقضى عهد' الأسى من متيم'
 اذا لم يدم يوماً لمحبوبه عهد'
 آمـرتي بالصبر وهي تتحدّيه
 وعاذلتى فى السّقم وهي له جند'
 كما لم تجد عيناكِ بدءاً من الضنى
 كذا ما لجسمى من ضنى بهما بدء'
 اذا وعدت هند ثنى جودها الوعد'
 وأن سمحت يوماً فنائلها ثمّد'
 يضيق بها خلخالها ، وسوارها
 ويجذبها من خلفها كفّل نهد'
 وان هي أسرّت فى الدجى نمّ حُسْنُها
 عليها ، ونمّ الحلي' والمِسْك ، والتد'
 لها خلق فى كلّ يوم من الجفّا
 طريف له بين الحشا حرق تلد'
 ولم أرَ مثلى يكره العار خالياً
 ويُنصيه سحر' الطّرف والجيد والحد' ...

وقال وهو من الغزل المصنوع :

ولما هزّزت' السّيف ثم اشتملته
 على ذابل آضنى من الصّب' فى الصد'

لَحْتَنِي وَقَالَتْ : لِمَ تَشْبِهُتَ ظَالِمًا
 بِلِحْظِي وَقِدْئِي ، قَلَّ هَذَا وَمَا يُجْدِي
 فَهَبِكَ طَبَعَتَ السِّيفَ مِنْ لِحْظِ مُقْلَتِي
 وَمَبِكَ قَدَدْتَ الذَّابِلَ الرَّمْحَ مِنْ قَدْئِي
 أَلِرْمَحِ رِدْفٍ مِثْلَ رِدْفِي يَزِينُهُ
 فَيُشْبِهُنِي أَمْ فِيهِ رِمَائِي نَهْدِي ؟
 وَلِلسِّيفِ غِمْدٌ مِثْلُ غِمْدِي يَسْكُنُهُ
 وَيُغْمِدُهُ فِي قَلْبِ كُلِّ فَتَى جَلْدِي ؟

وقال :

بِاللَّهِ يَا مُشَبِّهَةَ الْحَمَرِ
 لَوْنَا وَيَا أَضْوَأَ مِنْ بَدْرِ
 رَدْئِي فَوَادِي حَسْبُهُ بَعْضُ مَا
 سَقَّتْهُ عَيْنَاكَ مِنَ السَّحَرِ
 صُنْتُكَ عَنْ لِحْظِي يَا مَنْ غَدَتِ
 تَكَادُ مِنْ رِقَّتِهَا تَجْرِي
 عِقْدُكَ هَذَا الْجَوْهَرُ الْمُحَضُّ أَمْ
 تَفَرَّكَ نَفْطَمَتِ عَلَى النُّحْرِ ؟

وقال :

قَالَتْ : أَغْدِرْ أَوْ بِنَا فِي الْحُبِّ ؟ قُلْتُ لَهَا
 لَا نَالَ غَايَةَ مَا يَرْجُوهُ مِنْ غَدْرٍ

قالت : فلمَ لمَ تزرنا ؟ قلتَ ذَارَكُمُ
 قلبى ، ولم يدر بى جِسمى ولا شعرا
 قالت : كذا يكتم العشاق حُبَّهُمُ
 فينعمون ويجنون الهوى نَصِرا ؟
 قلت : اسمعى لى بتقبيل أعيش به
 قالت : وأى مُحب قبَّلَ القَمَرا ؟

وقال متغزلا بفتاة من بنات الأديرة :

ومظهرةٍ عَقْدَ هِبانها
 تَدِينُ بطِباعِ رُهبانها
 تراءت لنا يومَ دَيرِ القُصَيرِ
 وقد فوَّقت سَهمَ أجفانها
 فلما قضت حَقَّ قُربانها
 وأدَّت فريضة صُلبانها
 رمتنا بلحظ يقبضُ القلوب
 ويجرحُها قبلَ أبدانها
 فلم أرَ ذَلا كذَلى لها
 ولم أرَ عِزًّا كسلطانها
 محبَّة أبدأ للنفوس
 وإن قَطَعَتْها بهجرانها
 ألا بابى جَورٍ أدلَّ لها
 على وافرِ اطِّعادِها

حـ الوصف

قال يصف عود الفناء :

لَقَدْ نَطَقَ الْعُودُ عَنْ سِرِّهِ
فَفَادَرَ كُلَّ صَاحِبِ كُتَيْبٍ

فَشَبَّهَتْهُ مِثْلَ مَعَاصِيرِهِ
إِذَا مِلَنَ بَعْدَ اسْتِواءٍ وَطِيبٍ

بِوَجْهِهِ حَبِيبٍ بِدَا ضَاحِكًا
فَعَنَّ لَهُ لِعَظِّ عَيْنِ الرَّقِيبِ

فَلَمَّا اسْتَوَى نَطَقَ أَوْتَارُهُ
حَكَى نَقْرَهَا حُسْنَ لَفْظِ الْحَبِيبِ

تَجَسَّسَ الْأَنَامُ لِدَسَاتَانِهِ (١)
كَمَا جَسَّ عَرَقَ الْعَلِيلِ الطَّيِّبِ

فِيُسْمِعُنَا حَرَكَاتِ السَّرُورِ
وَيَكْشِفُ غَنَّا بَنَاتِ الْكُرُوبِ

وقال يصف نبات النيلوفر :

وَبَرَكَةُ تَزْهُوِ بَنِيْلُوفَرٍ
نَسِيمُهُ يُشْبِهُ نَشْرَ الْحَبِيبِ

(١) الدستان وجمعها دساتين هي الرباطات التي توضع الاصابع عليها.

مفتّح الأجنان في نومه
حتى إذا الشمس دنت للمغيب
أطبق جفينه على خده
وغاص في البركة خوف الرقيب
وقال يصف فوارة ، أو نافورة تقذف الماء في
وسط غدير :

وقاذفة بالماء في وسط بركة
قد التفتت وحفا من الشعر سججا
إذا قذفت بالماء سلته منصلا
وعاد عليها ذلك النصّل هودجا
كان عيون العاشقين تغيرها
من الدمع سجلا صافيا لا مضرجا
تغال بروز الماء من جفن عينها
قضيّب لجين سلّ منه مدملجا
تحاول ادراك النجوم بقذفيه
كان لها قلبا على الأفق منحرجا
لدى روضة جاد السحاب ربوعها
وزخرفها دون الرياض ودبجا
كان غصون الأقعووان زمرّد
تعمّم بالكافور ثم تتوجا
ونوار نسرين كان نسيمه
من المسك في أفق السماء تارجا

وقال يصف الناعورة :

وباكية من غير دمع بأعين
على غير خد دائما تتعدّر
يغنى بها زجل' المدير لقطبها
فيطربها حسن' الفناء ، فتنعر'
إذا نزف العشاق' دمع عيونهم
فادمعها مع كثرة السكب تغزّر'

وقال يصف روضة :

يا يوما اسعفنا بكل سرور
طيبا ، فنلنا منه كل حبور
ظلنا نسقى جوهرا من قهوة
قد عثقت في جوهـر البثور
في جنة قد ذلت ثمراتها
وتسربت بغلائل من نور
وجرى النسيم' على ثمار غصونها
فتضوّعت بالمسك والكافور
ينساب' في الأكفاف منها جدول
كالنصل أو كالعيّة المذخور
ما بين التـرج يلوح' كأنه
كبرى الثدى الصفـر فوق صدور
وكان' نرجسه إذا استقبلته
يرنو بأجفان العيون الحور

وكانما النَّارَنَجُ فِي اغْصَانِهِ
 أَكْرَ تَرَوْتِ مَنْ دَمِ الْيَعْفُورِ (١)
 وكانما نَشَرَ الرِّيبِيعُ مَلَا حَفَا
 فِيهَا مُرِيَّشَةً مِنْ الْمُنْثُورِ
 وَكَانَ سَوْسِنُهَا خَدُودٌ قَدْ بَدَتْ
 لِلَّثْمِ فِيهَا زَرْقَةٌ التَّائِثِ
 وَقَالَ يَصِفُ امْرَأَةً صَفراءَ اللَّوْنِ ، وَكَانَ مُوَلَعاً
 بِالنِّسَاءِ الصُّفْرِ :

وَضَعِيفَةً الْأَلْمَازِ سَاحِرَةً
 زَادَتْ لَوَاحِظُهَا عَلَى السُّعْرِ
 صَفراءُ يَعْسِبُهَا مُعَدِّئُهَا
 ذَهَباً يَكَادُ بِضَاضَةً يَجْرَى
 فَكَانَمَا خَفَرُ الْحِيَاءِ بِهَا
 سَقَمَ غَدَتِ مِنْهُ عَلَى سَكْرِ
 وَكَانَ رَقَّةً لَفْظُهَا جَمَعَتْ
 طَيْبَ الْوَصَالِ وَلَذَّةَ الْبِدْرِ
 فَحَدِيثُهَا كَالْبُرِّ أَوْ كَرِضَا الْمَحْبُوبِ
 بِعَدِّ السُّخْطِ وَالْهَجْرِ
 إِنْ قُلَّ أَدَّتْهُ بِلَا لَبَثٍ
 أَوْ طَالَ نَصَّتْهُ بِلَا هَذَرٍ
 تَرْتَجُّ مِنْ ثِقَلِ رَوَادِفِهَا
 حَتَّى تَنْوَأَ بِدَقَّةِ الْخَصْرِ

(١) اليعفور : ولد البقرة الوحشية .

فكانها قمر على غصن
 قد لاح في ليل من الشعر
 في صفرة كالحمر شاهدة
 ان الجمال المحض للصفر
 واذا مشت من لينها اضطربت
 مثل اضطراب الموج في البحر
 وكانتها تغطو اذا نهضت
 فوق المناصل أو على الجمر
 وقال يصف الشمعة :

ومشقة وجنح الليل قار
 لها من كل ناحية منار
 تضر بنفعها فلها دموع
 على الحديد من مسيلة غزار
 أعار الغصن قامتها استواء
 ووكلها على الليل النهار
 اذا ما رأسها قطف استفاقت
 وجانبها التغوى والحدار
 أقول ونارها تسطو عليها
 كما بالليل يسطو الانفجار (١)
 بنفسى كل مهضوم حشاها
 اذا ظلمت فليس لها انتصار

(١) الانفجار هو انكشاف الليل بالصباح .

وقال يصف (فرساً) يدعى السرور :

نِعم المَعِينُ على الوغى في مازق
لبست به الأبطالُ نَقَعَ القسطلِ (١)
فرس أشمُ المنكبين ، مقابِلِ (٢)
يَرْمِي الجنَادِلَ مِنْ يَدَيْهِ بجندلِ
تَنْبِيكٍ عَنْ أفعاله أعضاؤه
حُسْنًا ، وَعَنْ أخراه عِتْقُ الأوَّلِ
عَجِرُ الوظيفِ (٣) كَانَ لون أديمِهِ
حُبُكُ السَّعَابِ بِعَارِضٍ متهللِ
وترى له ذَتَبًا يَهْزُ فُضُولَهُ
ويجرُهُنَّ كَرِيطَةً (٤) المتغزلِ
في حُسْنٍ عَرَفِيٍّ قد تكاملَ نَبْتُهُ
جَعَدِي كعاشية الرداء المسبَلِ
وكانَ مَا مَبِيضٌ أَعْلَى وجهِهِ
وجبينِهِ ضُوءُ الصَّبَاحِ المَقْبَلِ
آمَضَى إذا أرسَلْتَهُ في حِلْبَةٍ
من قول : لا ، ومن التفاتةٍ مُعْجَلِ

(١) النقع والقسطل : الفبار .

(٢) مقابل : أصيل كريم .

(٣) الريطة : الثوب الرقيق : والمتغزل : الغازل .

وعجر الوظيف : صلبه .

(٤) الوظيف : مستدق الذراع والساق من الغيل والابل وغيرها ،

وكانَ دَقَّةَ سَرَجِهِ وَجَلامِهِ
شُدًّا على ظَهَرِ السَّمَاءِ الأعْزَلِ
وكانَ حافِرَهُ إذا وطىءَ الحَصَا
شُدًّا يَغْطِيهِ بهِ حِسابُ الجُمُئَلِ
ويسابقُ البرقَ المِثْمارَ بَغْطَوِهِ
ويزيدُ فيهِ على الصَّبَا والشَّمَالِ
وتراه يَمْرَحُ في العَنانِ إذا بَدَا
مَرَحَ المَعْبُوءِ التَّائِهِ المُتَدَلِّلِ
ط . شِعْرُ الشَّكْوَى

وقال في مطلع قصيدة يخاطب بها «العزیز» :
رضيتُ بحكم سَابِقَةِ القَضَاءِ
وَأَنْ أَضَحَّتْ تَكْدُرُ صَفْوَ مائِي
وَهَلْ يَسْطِيعُ أَهْلُ الأَرْضِ حَلَا
لِعَقْدِ شُدِّ مِنْ فَوْقِ السَّمَاءِ ؟
إِلَى كَمْ تَهْدِمُ الأَحْدَاثُ رُكْنِي
وَتُرْمِئُنِي بِجَوْرِ وَاعْتِدَاءِ ؟
يَعاقِبُنِي الزَّمانُ بِغَيْرِ ذَنْبِ
وَتَغْذِلُنِي يَدِي وَذَوُ اصْطِفَائِي
وَيَسْعَى بِي لِمَنْ لَوْ جَاءَ سَاعَ
بِهِ عَنْدِي لَخُضِبَ بالدَّمَاءِ

(١) السماء الأعزل : نجم في السماء وسمى أعزل لأنه لا شيء بين يديه من الكواكب ، وهناك أيضا السماء الرامح .

حياتي بين واشٍ أو حَسود
وساعٍ بى يُسرُّ بطولِ دائي
فان وشى عليّ الزورَ باغٍ
فصبرا للمقادير والقضاءِ

وقال يشكو الدهر مخاطباً أباه :

يا دهرُ كم يشددُ حُرْبك
ويكرهُ بالنكبات خطْبك ؟
ما بالُ جَـوْرِكَ لا يَنْفِيـ
ــــق' ، 'ولا يَلِينُ' عليّ قلبك
عاصيتني حتى لقد
أوهمتني أنى أحبك
يا دهرُ ما ذنبى اليــــ
ــــك ، وقد تعاضم في ذنبك
بينى وبينك فى الــــذى
أوليتــــنى ربى ، وربك

وقال المقطوعة التالية ، وهي منشورة فى كتب
الأدب والتراجم ، وفيها كثير من التصبر :

أما الذى لا يملك الأمرَ غيره
ومن هو بالسر المكنم أعلم
لئن كانَ كتمانُ المصائب مؤلماً
لاِعلانها عندي أشدُّ وألمُ

صَبَرْتُ عَنْ الشُّكْوَى حِيَاءً وَعَفَاةً
 وَهَلْ يَشْتَكِي لِدَغِ الْأَرَاقِمِ أَرْقَمُ ؟
 وَبِى كُلُّ مَا يُبْكِي الْعَيُونَ أَقْلَهُ
 وَإِنْ كُنْتُ مِنْهُ دَائِمًا أَتَبَسُّمُ
 وَقَالَ يَشْكُو ضِيَاعَهُ وَخَفَاءَ اسْمِهِ مِنَ الْحَيَاةِ
 السِّيَاسِيَةِ وَالْاجْتِمَاعِيَةِ فِي مِصْرَ مَعَ ذِكَاثِهِ وَحُسْنِ
 اسْتِعْدَادِهِ :

أَلْظَهَرَ ' أَمْ أَخْفَى الَّذِي بِي مِنَ السُّتْمِ
 وَكَمْ أَدْفَعُ الْأَيَّامَ بِالصَّبْرِ وَالْحِلْمِ
 أَعْلَلْتُ نَفْسِي بِالْأَمَانِي تَجَلُّدًا
 وَأَوْهَمَهَا أَنَّ النَّزَاهَةَ فِي الْعَدَمِ
 صَبَرْتُ عَلَى الْأَحْدَاثِ حَتَّى أَذْبَنْتَنِي
 وَحَتَّى انْتَهَتْ سَكِينَتُهُنَّ إِلَى الْعَظَمِ
 وَلَمْ يَلْقَ مَخْلُوقٌ مِنَ الدَّهْرِ مِثْلَ مَا
 لَقِيتُ مِنَ الْأَرْزَاءِ وَالْجُورِ فِي الْحُكْمِ
 فَمَا عَنَفْتُ غَيْرِي الْخَطُوبُ بِجَوْرِهَا
 وَلَا ظَلَمْتُ أَحْدَانَهَا أَحَدًا ظَلَمِي
 أَرُونِي مَرِيضَ الْقَلْبِ مِثْلِي وَالْمُنَى
 عَلِيلَ الْغِنَى وَالْحَالَ وَالْحِفْظَ وَالْجِسْمِ
 وَمَا خَذَلْتَنِي هَمَّتِي فَالْوَهْمِهَا
 وَمَا ضَاقَ بِي مَذْكَ كُنْتُ فِي مَحْفَلِ عِلْمِي
 وَانْفَذْتُ مِنْ رُمَحِ الشُّجَاعِ سِيَاسَتِي
 وَأَبْصَرْتُ مِنْ عَيْنِ الْبَصِيرِ ضِيَا فَهْمِي

فَلِمَ اخْتَفَى تَحْتَ التُّرَابِ مُضِيْعًا
وَقَدْ نُوْهِتَ فِي الْخَافَقَيْنِ الْعَلَا بِاسْمِي ؟

وَمَا لِيْ اَخْطُوْ فِي الْمَضِيْضِ تَخْلُفًا
وَقَدْ عَقِدْتَ كَفِّيْ عَلَى كَاهِلِ النِّجْمِ ؟

وَقَالَ مِنْ قَصِيْدَةٍ يَذُمُ فِيْهَا الزَّمَانَ :

اَسِرْبَ الْحَمَامِ لَوْ لَقِيْتُنَّ بَعْضُ مَا
اَلَا قَىْ لِأَصْـبَحْتُنَّ اَوَّلَ مَنْ يَفْنَى

وَلَوْ قَدْ عَلِمْتُنَّ الَّذِي اَنَا عَالِمُ
لَمَّا نَاحَ مِنْكُمْ هَاتِفٌ ، لَا وَلَا غَنَى

وَمَنْ جَرَّبَ الْاَيَّامَ تَجَرَّبَتِيْ لَهَا
دَرَىْ اَنْهَا لَيْسَتْ تَدُومُ عَلَى مَعْنَى

فَعَسْبُكَ يَا دَهْرُ اصْطَلَيْتَ بِنَارِ مَنْ
لَوْ اَنَّكَ سَمٌّ فِي تَرَاقِيِيْهِ مَا اَنَا

وَاكْثَرُ مَا اَهْجُوْكَ يَا زَمَنِيْ بِهِ
مِنْ الْفَعْلِ اَنِيْ لَمْ اَحْسُنْ بِكَ الظَّنَّ

ذَمَمْنَاكَ يَا صَرْفَ الْخَوَادِثِ فَانْتَصِرْ !
وَسُوْنَاكَ يَا رِيْبَ الزَّمَانِ فَخُذْ مِنَّا !

فَاِنَّ اَنْسَاسَ لَا نَذِلُّ لِنُكْبَةٍ
وَاخْلَاقُنَا لَا تَعْرِفُ الْخَوْفَ وَالْجُبْنَ

ي. الاعتذار

قال تميم بن المعز يعتذر الى والده الخليفة
« المعز لدين الله » من بعض ذنوبه :
قل للامام معزاً دين محمد
بالمهرية والحُسام الباتر
ان كان قد عظمت ذنوبي وانتهت
بي فوق مقدار الذنوب جرائري
فاقل ما تعويه عفوك واسع
سعة يحيط صغيرها بكبائري
والله ما بقيت خطايا تائب
يوماً ، ولا حسنت عقوبة قادر
عذري على عمد ، وذنبى غفلة
والذنب يظهر فضل عفو القادر
انني التزمت خطيئة نسبت الى
جهرى ، ولم تسكن عقود سرائري

وقال معتذراً الى أخيه الخليفة العزيز بالله
لتأخره عن الحضرة يوم العيد لمرضه :

وما تأخرت من زهد خسرت به
آجري ، ولا غبت عن رؤياك من ملل
ومن يبيع نهارة مشرقاً بدجي
ومن يغوض ضعى الاصباح للطفل ؟

لكن تغلفت من سقم ومن ألم
 طفقت بينهما كالهائم الحبل
 داء يذود عن العينين نومهما
 وعلة بي قد زادت على العليل
 فان تكن قصرت بي عنك اذ سقمت
 رجلى ، فاني صحيح الود والعمل
 لا وجه نصحي وطاعاتي بمنصرف
 عما عهدت ، ولا قلبي بمنقل
 انى بحبك ممزوج ، كما مزجت
 أيدي الشقة مزاج الماء بالعسل
 صلتى عليك وأعطاك السعادة من
 حبك بالنصر والتأخير في الأجل

وقال معتذراً اليه أيضاً حين أقام بخليج
 « سردوس » أياماً للنزهة وتأخر شاعرنا عن
 اللحاق به هناك لعله أصابته :

الله يعلم ما طوته جوانحي
 لما رايت البين أنجز وعده
 قالوا : العزيز ترحلت أجماله
 ونأى ، فكيف وجدت عندك بعده ؟
 فاجبتهم أنى لا كفر فضله
 ونواله أن رحت حياً بعده
 ولعل من سمك السماء يردده
 عجلاً ، ويكفيننا نواه ، وفقداه

ثِقِ بالنجاح فان ربك كالىء
لك يا نزار ، و'مطلع لك سَعْدَه'
هذا الذى أسطيعه جَهْدى . وقد
وفّاك مَنْ أعطاك منه جَهْدَه'

وخرج أخوه الخليفة العزيز بالله الى ضاحية
عين شمس ، وتأخر شاعرنا عن اللحاق به هناك
لضرورة دعته الى ذلك ، فكتب اليه معذراً :

أغيب ولى مهجّة لا يزال
اليك سَراها وتبكيها
ولكنك الشمس' حيث انصرفت'
من الأرض يصعبنى نورها
اذا ما غدت لك عندى يد
تعاظم فى الفضل تأثيرها
صددت' حياء ، فنأديننى
كمما يتداوى اذا ما انتشى
من الرّاح بالراح مخمورها ..!

وكتب الى صديقه وجليسه أبى عبدالله الحسين
ابن ابراهيم الرّسّى الطالبى معذراً من عدم
شهود مجلسه :

إنها الماجد' الذى لم يقصّر
عن معالى آبائه الأبرار

أَنْ حَقَّ السُّودَادُ عِنْدَ ذَوِي الْأَدْبَابِ
 حَقُّ مَعْقُومِ الْمَقْدَارِ
 سَيِّمًا حَقَّ بِمَنْ صَافَا وَتَنَاهَى
 لَكَ فِي ظَاهِرٍ وَفِي اضْمَارِ
 أَنَا فِيهِ مَقْدَمٌ لَكَ عُذْرًا
 فَاجِزْ بِالْقَبُولِ وَجْهَ اعْتَذَارِي
 لَا أُوْدِي حَقَّوْقَهُ وَهُوَ فَرْدٌ
 كَيْفَ لِمَا شَفَعْتَهُ بِالْجَوَارِ ؟
 لَمْ تَعْبُرْ بِسَلَاغَتِي وَلِسَانِي
 مِنْهُ عَنِ عَشْرِ مَا حَوَتْ أَسْرَارِي
 لَيْسَ أَنِّي ضَعَفْتُ عَنْهُ ، وَلَكِنْ
 ضَعَفْتُ مِنْ بَلْوِغِهِ أَشْعَارِي
 زَادَ رُبْعِي دُنُوهُ رَبْعِكَ مِنْهُ
 أَنْسَأُ فِي الْقُلُوبِ وَالْأَبْصَارِ
 زَانَ شَعْرِي لِذِيذِ شَعْرِكَ فِيهِ
 مِثْلَمَا زَانَ قَرَبُ دَارِكَ دَارِي
 فَهَيْثَا لَكَ الْمَنَازِلُ وَالْأَقْبَا
 لُ . وَالْعَمَرُ دَائِمُ الْإِيْسَارِ
 لَوْ أَمَنْتُ الَّذِي حَذَرْتُ أَذْنَ زُرْ
 تُنْكَ فِيهِنَّ أَوَّلَ الزَّوَارِ
 قَاضِيًا فِي زِيَارَتِي لَكَ حَقًّا
 لَيْسَ تَقْضِيهِ رُقْعَتِي ، وَاسْتَارِي
 إِنْ تَأَخَّرْتُ بِاخْتِيَارِ زَمَانِي
 عَنْكَ فَاعْلَمْ أَنَّ الدُّنُوَّ اخْتِيَارِي

كـ. الهجاء

قال الأمير الشاعر تميم بن المعز يهجو بعض

الكتّاب :

إذا لم تعرف الخيرا
ولم تقصد بأفعالك
ولم يعدل بك التمييز
فأنت الماء لا يعدو
وأنت السيف لا يفري
فما حقتك أن تسمع
ولكن أنت في جهل
وكالتكران لا يدرى
وكالتبارك ما يجنى
وقد سمّاك أقوام
ولم لا تهب الألف
ولم لا تكرم العبد
وقالوا : ليس قدر الماء
وهل يعرف ما الأيسا
فلا أبقي لك الله
فما أولى بك الموت

فتأتيه ، ولا الشرا
لك لا نفعا ولا ضرا
لا يُمْنى ، ولا يسرى
به تيَّارُه المتجرى
إذا ما لم به يفري
لا ذمّا ، ولا شكرا
ك كالأكل ما يخرى
بما يفعله سكرى
وكالجاهل ما يقرا
جواداً ماجداً غمرا
إذا لم تدر ما العشرا ؟
إذا لم تعرف الحرا ؟
ل في همّته قدرا
ر من لا يعرف العسرا ؟
بقاء ، لا ولا عمرا
وما أولى بك القبرا !!

ل - شعر الصيد والطرب

قال في الطرد :

قد اغتدى والليل في د'جاء'
والصبح لم ينهض به سنّاه'
على حصان شنج نسّاه'
أنبط نهّد ، عبّل شواه' (١)
سامى التليل ، سالم شظّاه'
ذى غُرة أولها أذناه' (٢)
جازبها مسيلها مدّاه'
حتى لقد كادت تغطّي فاه'
مستكمل التحجيل مستوفاه'
أربعه وبطنه أشباه'
مخالف أسفله أعلاه'
بدهمة قد ملأت قراه'
وانصبغت منه أليّاه'
فهو د'جى يعمله ضحّاه'
تسبق أقصى لحظه خطّاه'
لا يطأ التربّ ولا تلقاه'

(١) الشنج : المنقبض ، والنسا : عرق يخرج من الورك ، وشنج النسا صفة محمودة في الخيل . والأنبط من الخيل ما تحت بطنه وإبطه بياض ، والنهد : الفرس الجميل اللقيم المشرق ، وعبّل الشوى : غليظ القوائم .
(٢) التليل : العنق ، أى مرتفع العنق ، والشظا : عظم بالركبة أو الوظيف .

رَجُلَاهُ فِي الْعَدُوِّ وَلَا يَدَاهُ
 كَأَنَّهُ يَطِيرُ فِي مَجْرَاهُ
 إِذَا دَعَا لَيْثُ الْفَلَا لَبَّاهُ
 أَسْرِعْ لِلشَّيْءِ إِذَا ابْتَغَاهُ
 مِنْ مَبْلَغِ السَّهْمِ لِمَنْتَهَاهُ
 مُرْتَبِطُ الرَّجُلِ بِمَا يَرَاهُ
 كَالْفَلِظِ مُلْتَفِّاً بِهِ مَعْنَاهُ
 تَحْسُدُ مِنْهُ يَدَهُ رَجُلَاهُ
 حَتَّى يَكَادَ وَهُوَ فِي مَعْدَاهُ
 تَسْبِقُ أَخْرَاهُ بِهِ أَوْلَاهُ
 لَا يَشْتَكِي مَنْ تَعَبَ وَجَاهُ
 وَلَا تَنْدَى عَرَقاً جَنْبَاهُ
 كَأَنَّهُ إِذَا جَرَى سِوَاهُ
 لَوْ نَامَ فَوْقَ مَتْنِهِ مَوْلَاهُ
 وَهُوَ شَدِيدُ الْعَدُوِّ لَا سِتْوَاهُ
 وَلَمْ يَطِرْ عَنْ جَفْنِهِ كَرَاهُ
 أَشْوَسَ فِي مِشِيَّتِهِ تَيَّاهُ
 يَطَاوِلُ الْجُوزَاءَ مَنْ مَطَاهُ
 وَأَشْهَبَ مَغْلِبُهُ شَبَاهُ
 كُلُّ ذَوَاتِ الرِّيشِ مِنْ عِدَاهُ (١)
 بَاتَ يَهْيِجُ جُوعَهُ غَدَاهُ
 كَأَنَّ فَصِّي ذَهَبَ عَيْنَاهُ

(١) الأشهب : يريد بازي الصيد ، والأشهب أكرم أنواع البزاة .

فِي هَامَةِ قَدْ بَرَزَتْ وَرَاهُ
 هَادِينَةُ مَنْ ضَلَّ عَنْ سُرَاهُ
 يَكَادُ أَنْ يَحْرِقَهُ ذِكَاہُ
 لَوْ طَلَبَ الْكَوْكَبَ لَانْتِهَاهُ
 مَا غَالَتْهُ يَوْمًا ، وَلَا أَعْيَاهُ
 مَا رَمَقَتْ فِي الْجَمُوءِ مُقْلَتَاهُ

مـ . فِي أَغْرَاضٍ شَتَّى

وَقَالَ تَمِيمُ بْنُ الْمَعْزِ فِي اتِّقَاءِ الْمَعَاصِي :
 أَفْنَيْتَ دَهْرَكَ تَتَّقِي
 فِيهِ الْحَوَادِثَ وَالْمَصَائِبَ
 وَلَوْ اتَّقَيْتَ مَعَاصِيَ الرَّحَى
 ——— فِيمَا أَنْتَ رَاكِبٌ
 لِأَمْنَتِكَ مِنْ نَارِ الْجَحِيمِ وَفَى
 بِى الْحَيَاةِ مِنَ النَّوَائِبِ
 إِنْ لَمْ تُرَاقِبْ مَنْ لَهْ
 حُكْمٌ عَلَيْكَ فَمَنْ تُرَاقِبُ ؟
 وَقَالَ مِنَ الشَّعْرِ الَّذِى كَانَ يَتَغَنَّى بِهِ فِي مِصْرَ
 كَمَا قَالَ صَاحِبُ « يَتِيمَةُ الدَّهْرِ » :
 قَالَتْ وَقَدْ نَالَهَا اللَّبَّيْنِ أَوْجَعُهُ
 وَالْبَيْنِ صَعَبَ عَلَى الْأَحْبَابِ مَوْجَعُهُ
 اجْعَلْ يَدَيْكَ عَلَى قَلْبِي فَقَدْ ضَعُفْتُ
 قَنَواهُ عَنْ حَمَلِ مَا فِيهِ وَأَضْلَعُهُ

واعطِف عليَّ المطايا ساعة ، فعسى
مَنْ شَتَّ شمل الهوى بالوصلِ يجمعه'
كأننى يوم ولئت حسرة وأسى
غريق' بحر يرى الشاطى ، ويمنعه' .. !

وقال يصف القرافة - وكانت فى العصر
الفاطمى مسكن المتصوفة ، ويتضرع الى الله :

إذا كنت مصطفىاً مربعاً
فغُضَّ القـرافة بالاصطفاء
منازل' معمورة بالعفا
فى ، مخصصة بالتقى والبهاء
كانَ العبير لها تربة
تَضَوَّع فى صبحها والمساء
ويحى النفوس بأرجائها
رقيق' النسيم ، وطيب' الهواء
ديار أديرَ بهن' النعيم
ومغنى كملتد' رجع الغناء
تزيد الشموس بها بهجة
وتعسُن' فى مقلتي كل' راء
وينبه' فيها النيام ، الأذان'
إذا مزق الليل سيف' الضياء
فمِنْ ذاكر ربّه خشية
ومِنْ مستهل بطول الدعاء

ولا خيرة في حياة امرئ
 اذا لم يخف فصل يوم القضاء
 رجوتك يا رب لا أننى
 اطعُك طُوع اولى الانتهاء
 ولكننى مؤمن موقن
 بأنك رب الورى والسماء
 وأنتك أهل لحسن الظنون
 وأنتك أهل لحسن الرجاء
 وماليَ يارب من شافع
 اليك سوى خاتم الأنبياء

وقال في الزهد والموعظة :

يا عجباً للناس كيف اغتدوا
 في غفلة عمّا وراء الممات
 لو حاسبوا أنفسهم لم يكن
 لهم على احدى المعاصي ثبات
 من شك في الله فذاك الذى
 أصيب في تمييزه بالشتات
 يحييهمو بعد البلى مثل ما
 أخرجهم من عدم للحياة

وقال في آداب النفس :

اذا الدهر أعطاك القياد مملكا
 ودارت بما ترجو عليك سعوده

فلا تَعَمْ فِيهِ عَيْنُ قَلْبِكَ حَيْرَةً
 وَخِذْ وَافِدٍ مِنْ كُلِّ مَا تَسْتَفِيدُهُ
 يَمُوتُ الْفَتَى طِفْلاً ، وَكَهْلاً وَعَبْطَةً
 وَيَبْقَى عَلَى الْأَيَّامِ وَالْدَهْرِ جُودُهُ
 فَكُنْ لِجَمِيعِ النَّاسِ فِيهِ مُشَارِكاً
 فَعَمَّا قَلِيلٍ سَوْفَ تَصْعَوُ رُغُودُهُ
 وَلَا تَتَكَبَّرْ إِنَّ قَدْرَكَ فَوْقَ مَا
 مَلَكَتَ ، وَأَنْ السَّكْبَرَ مَا لَا يَزِيدُهُ
 وَزِدْ لِعَطَاءِ اللَّهِ ذُلَّ تَوَاضُعٍ
 فَإِنَّكَ وَالْأَقْصَا طَرّاً عَبِيدُهُ



المصادر والمراجع

- وفيات الأعيان : لابن خلكان
خريدة القصر : للعماد الأصفهاني
دمية القصر : للباهرزي
المنتظم : لابن الجوزي
المغرب في حلى المغرب : لابن سعيد المغربي
سيرة الأستاذ جوذر : للعريزي الجوذري
البداية والنهاية : لابن كثير
حسن المحاضرة : للسيوطي
مسالك الأبصار : لابن فضل الله العمري
ديوان تميم بن المعز :
الأدب العربي في مصر : للمرحوم محمود مصطفى
في أدب مصر الفاطمية : للمرحوم د. محمد كامل حسين
الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية :
للمرحوم د. أحمد أحمد بدوي

الفهرس

صفحة	الموضوع
٣	بين يدي الكتاب
٧	كلمة الناشر
٩	الشاعر والأدب في العصر الفاطمي
٢٧	تميم بن المعز لدين الله
٤٣	تميم بن المعز في كتب التاريخ والأدب
٦١	صورة خلقية
٨٩	تميم الشاعر وأسلوبه
١٠٣	أغراض من الشعر عاجها تميم بن المعز
١٠٥	الممدح
١١٢	العتاب
١١٤	الفخر
١٢٠	الثناء
١٣١	الوصف
١٣٦	الشكوى

١٤١	بقية من شعر تميم بن المعز
١٤١	أ - المدح
١٤٨	ب - التهاني
١٥٥	ج - العتاب
١٥٧	د - الفخر
١٦٤	هـ - الرثاء
١٧٠	و - الغزل والنسيب
١٧٦	ح - الوصف
١٨٢	ط - شعر الشكوى
١٨٦	ي - الاعتذار
١٩٠	ك - الهجاء
١٩١	ل - شعر الصيد والطرب
١٩٣	م - في أغراض شتى
١٩٧	المصادر والمراجع

الكتاب الذي ينتظره الجميع

عن ظاهرة العصر الأدبية

الزِّيَاتُ وَالرِّسَالَةُ

صَدَرَ عَنْ

دار الرفاعى للنشر والطباعة والنوزيع

وهو أول أعداد سلسلة الجديدة

دراسات في الصحافنة الأدبية

التي يُعِدُّهَا الأستاذ الدكتور

محمد سيد محمد

الأستاذ بجامعة القاهرة والأستاذ المشارك بجامعة الملك سعود.

للمزيد عليه اتصلوا ب دار الرفاعى للنشر والطباعة والنوزيع

ص ب ١٥٩٠ الرياض / تليفون ٤٧٧٧٢٦٩



المؤلف بقلمه...

- ولد في ١٦ أغسطس ١٩٠٧ بمدينة المنصورة التي سميت الانتصار على الصليبية، وأسر وسجنه فيلاديلفيا التاسع ملك فرنسا
- أكل تعليمه العالي والجامعي بذرا العلم وجامعتي أستراليا وفرنسا
بفرنسا، وعمل بعد عودته مدرساً بالتعليم الثانوي، فانتازا بالمرح العالي للتبيل، فميراً للدراسة المدرسية، فانتازا بجملة الشرطة، فمفتاً عاماً بالتعليم الثانوي والجامعي، كما عمل مديراً للإدارة بذرا العارف، ورئيساً للطبقات الحديثة والدرا القرصية
- بذات (الانهرام) تشرعوه منذ ١٩٢٧ تحت لقب «سائر الانهرام»، شارك في تقرير معظم المجلات بمصر والعالم العربي
- أول ما قام في إشرافه العربي بعمل الفلايس والقوائم التعريفية المبوية لذات السبائك ودور الشر في مصر
- عام ١٩٧٢ عضو املا بجمع اللغة العربية بمصر، وفي ١٩٧٨ ظهر ببطونية بجمع اللغة العربية بالقاهرة
- يجب الانتصار والرموز الى العالمية القيم الحديث لزيارة ألبان، لانهمة...
- ظهر بجائزة الدولة في فئة السيرة والتراجم له كتابه: (أحمد فايز السادة)
- من مؤلفاته الكثيرة: الشعر العربي في الاجر - فيه الترجمة في الادب العربي - الفلاح في الادب العربي - هجرات مضيئة من الشعر العربي - في اديبة الشرق والغروب - من اشكال الحب - امه الرومي - بلبل السند - اشرف الادبي - الشرف الرضي - التراجم
- ربة السند وآفها: (سائر على الدرب) C

محمد عبد القادر

